



الموعد

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ اللقـاء ..

« التالى .. » ..

انتفض جسد (صفية) ـ على الرغم منها ـ حينما نطق ساعى المكتب بهذه الكلمة ، وسرَت فى جسدها رعشة ، تجمع ما بين التوتر والقلق والخوف والرهبة ، على الرغم من أن اللهجة ، التى نطق بها الرجل كلمته ، كانت توحى بالضجر والروتينية ..

وتعلق بصرها بالشاب الذى غادر مكتب المدير ، فى خطوات متثاقلة ، ووجه تحمل ملامحه قدراً كبيراً من الأسف والحزن والإحباط ، وتابعته بعينيها لحظة ، ثم نقلتهما إلى الشاب الآخر ، الذى نهض فى توتر ، وحاول أن يعدل من هندامه فى انفعال ، قبل أن يتنحنح ، ويندفع بدوره داخل مكتب المدير ، ليغلق الساعى باب المكتب خلفه ، ثم يعود ليستوى على مقعده ، ويرخى جفنيه ، وتلوح على وجهه أمارات البلادة والملل ..

لم يعد باقياً فى تلك الحجرة ، الملحقة بمكتب المدير

سواها ، وسوى شاب هادئ الملامح ، أسمر البشرة ، باسم الثغر ، اتسعت ابتسامته حينما لاحظ تطلُّعها المتوتر إليه ، وسألها فى هدوء ، وبلهجة مهذبة خافتة :

– هل تشعرين بالخوف ؟

– جداً ..

نطقتها بحروف مرتعدة ، وبصوت شديد الخفوت حتى خيِّل إليه أنه لم يسمعها ، وفى أعماقها هتفت فى استنكار :

– يا له من سؤال !!.. بالطبع أشعر بالخوف .. خوف شديد .. إنها حياتى ، وإنه مستقبلى .

وعاد الشاب يسألها فى هدوء ، دون أن تختفى ابتسامته :

– هل تظنين أنه ثمة أمل ؟

لم تكن ترغب فى تبادل الحديث مع أى كائن من كان ، إلا أن ابتسامته الهادئة ، ولهجته المهذبة جعلاها تجيب فى بساطة :

– هناك أمل دائماً .

صمت وهو يتأملها فى هدوء ، قبل أن يقول :

– لا أظن .. ليس فى شركات القطاع العام .

أحنقتها عبارته ، التى تنتزع من قلبها أملا ، طال تشبثها به ، فغمغمت فى حدة :

– لماذا أتيت إذن ؟

هزَّ كتفيه فى هدوء ، وقال وهو يحافظ على ابتسامته :

– حتى لا أتهم نفسى بالتقصير فيما بعد .

تطلعت إليه فى مزيج من الحيرة والتوتر ، وأدهشتها عبارته كثيراً ..

ليس لأنها لاتصدقها ، ولا لأنها تستنكرها ..

وإنما لأنها تعبر بالضبط عما جال بخاطرها ، وهى تتقدم لشغل هذه الوظيفة ..

كانت تعلم ، منذ قرأت إعلان الوظيفة فى الصحف ، أن تلك الإعلانات ، التى تنشرها شركات القطاع العام ، لتعلن فيها عن وجود وظيفة خالية لديها ، إنما هى مجرد استكمال للشكل الرسمى الروتينى ، وأن

كل ما يلى ذلك من اختبارات ، وامتحانات للمتقدمين إليها مجرد مسرحية سخيفة ، لا يفيد منها سوى أفراد لجنة الاختبار والامتحان فقط ، بما يحصلون عليه من بدلات مالية ، ومكافآت وحوافز ..

والمتقدمون لشغل الوظيفة يأتون ويذهبون دون طائل ، فالشخص الذى سيشغلها فعلا فى النهاية معروف ومطمئن ، من قبل أن ينشر ذلك الإعلان الروتينى ..

كانت تعلم ذلك ، ولكنها أتت ..

أتت لتتعلق بذرة أمل ، وحتى لا تتهم نفسها يوماً بالتقصير ..

وهى تجلس فى تلك الحجرة منذ خمس ساعات كاملة ، رأت خلالها كل الشبان ، الذين كانوا يملئون الحجرة ، وهم يغادرونها بكل الأسف والحزن ، وخيبة الأمل ..

وقاومت أكثر من مرة رغبتها فى أن تعدو خارج المكان ، لتنفض عن قلبها ذلك الإحباط ، الذى ملأته به تلك المشاهد المؤسفة ..

وأخيراً لم يعد هناك سواها ، وسوى ذلك الشاب ، الذى يشاركها موقفها وشعورها ..

وانطلقت من أعماق صدرها ـ دون وعى ـ تنهيدة قوية ، حملت كل ما تجيش به نفسها من انفعالات ، ولم تكد تلك التنهيدة تغادر شفتيها حتى تضرَّج وجهها بحمرة الخجل ؛ إذ بدت لها ، وسط الصمت المخيم على الحجرة ، أشبه برصاصة انطلقت فى سكون الليل ، وتضاعف خجلها عند ما لمحت نظرة عطف وإشفاق ، تطل من عينى الشاب ، فى حين اكتفى الساعى بأن فتح جفنيه نصف المغلقين ، وتطلع إليها فى تكاسل ، قبل أن يعود ليرخيهما فى بلادة ، فأطرقت بوجهها فى حياء وسمعت الشاب يغمغم فى حنان عجيب :

ـ لم تجئ نهاية العالم بعد .. إنها مجرد وظيفة .. أليس كذلك ؟

ـ لم تجب ..

لم تجد فى نفسها القدرة على إجابته ..

مجرد وظيفة ؟! ..

من السهل أن ينظر إلى الأمور بهذه البساطة ؛ لأنه لم يحى كل ذلك العذاب ، الذى عايشته منذ طفولتها ..

ذلك العذاب ، الذى جعل تلك الوظيفة هى أملها الوحيد ، فى الخروج من دائرة الوحدة والآلام ..

لم تشعر بالشاب ، وهو يغادر مقعده ، إلا حينما جلس على المقعد المجاور لها ، وهو يقول فى هدوء :

— اسمى (حسن) .. (حسن رضوان) ..

كان من الواضح أنه يخبرها باسمه ليدعوها إلى أن تفعل المثل ، ولكنها تجاهلت ذلك ، وأشاحت بوجهها دون أن تنبس ببنت شفة ، فسمعته يغمغم فى خجل وارتباك :

— هل ضايقتك ؟

نطق سؤاله فى صوت هامس ، تحمل نبراته مرارة تسللت إلى قلبها فى يسر وبساطة ، فأسرعت تقول فى خجل :

— لا بالتأكيد .

وران عليهما الصمت لحظة ، قبل أن تردف فى بساطة :

— أنا (صفية) .. (صفية محمود) .

أدهشها أنها قد أخبرته باسمها بهذه البساطة ، على الرغم من أنها ، منذ لحظة واحدة ، كانت ترفض أن تفعل ، ولكن هذا الشاب كان يمتلك فى صوته وابتسامته سحراً عجيباً ، يذيب كل حواجز الجليد بينه وبين الآخرين ..

وخامرتها رغبة قوية فى التطلع إلى وجهه ..

رغبة عجزت عن مقاومتها ، فاستسلمت لها ، وأدارت عينيها إلى وجهه فى بطء ، وتطلعت إليه فى هدوء ..

كان شابًّا عاديّ الملامح ، فى منتصف العشرينات من عمره ، ولكن كل خلجة من خلجاته ، وكل لمحة من ملامحه ، كانت تشى بالبساطة والوداعة وطيبة القلب ، مع بعض الإصرار والصرامة والبأس ..

كان من ذلك النوع ، الذى يتسلل إلى القلوب فى هدوء ناعم ، بحيث يشعر المرء وكأنما يعرفه منذ سنوات وسنوات ..

وفجأة أدركت أنها تتطلع إلى وجهه مباشرة ، وأنه يتطلع بدوره إلى وجهها ، وعيناه تحملان شغفاً عجيباً ، فعاودها خجلها ، وعادت تشيح بوجهها حياءً ، وهى تتساءل عن سر ذلك الشغف فى عينيه ..

إنها تعلم تماماً أنها فتاة عادية .. بل أقل من العادية ..

إنها ليست باهرة الحسن ، على الرغم من بشرتها البيضاء ، وعينيها الواسعتين السوداوين ، وفمها الدقيق الرقيق ..

ربما كانت جميلة ، ولكن جمالها من النوع العادى الهادئ ، الذى لا يثير كل ذلك الشغف فى العيون ..

إنها تعلم ذلك ..

ولكن ما لم تكن تعلمه ، أو تعترف به ، هو أنها كانت تحمل فى أعماقها فيضاً من الرقة والحنان ، كبتهما الحزن ، وقهرتهما الآلام ..

وربما كان هذا ما استشفه (حسن) من عينيها ..

ربما ! ..

« التالى .. » ..

انتفضت مرة أخرى ، ورفعت عينيها فى هلع إلى الشاب ، الذى غادر مكتب المدير ، حاملا نفس الملامح الحزينة الآسفة ، وخفق قلبها فى عنف وتوتر ، وتطلعت إلى الشاب الجالس إلى جوارها ، وكأنها تسأله المشورة ، فنهض من مقعده ، ومنحها ابتسامته المشرقة الهادئة ، وهو يقول :

ـ أظن أننى ذلك التالى ، الذى يطلبونه .

واتجه فى هدوء إلى حجرة المدير ، وغاب داخلها ، وأغلق الباب خلفه فى بطء ..

لقد أصبحت وحدها ..

كلاً .. إن حزنها وانفعالها هما رفيقاها الآن ..

بل رفيقا عمرها القصير ..

وفجأة غابت كل الأفكار والذكريات من عقلها وذهنها ..

فرغت كل مشاعرها ، إلا من الترقب ..

ترقب دورها فى الاختبار ..

لم تدر كم مضى من الوقت ، وهى تتطلع إلى باب حجرة المدير ، وقلبها يصرّ على الخفقان بهذه القوة ، حتى ليكاد يقفز من بين ضلوعها ، ويتشبث بالباب ، وبالأمل ..

وأخيراً خرج (حسن) ..

خرج كما دخل تماماً ، بنفس الابتسامة الهادئة ، والوجه المشرق البسيط ، ونهض الساعى ليقول بنفس الضجر والرتابة :

— التالى .

تعلقت عيناها بعينى (حسن) ، وارتجف جسدها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها ، وهى تنهض ، وتسأله فى صوت مرتعد :

— هل قبلوك ؟

هزّ رأسه نفياً فى هدوء ، وخيِّل إليها أن ابتسامته قد ازدادت إشراقاً واتساعاً ، وهو يقول :

— لا بالطبع .

ثم مال نحوها ، وترك ابتسامته تتغلغل فى أعماقها ، وهو يستطرد :

— ربما كان هذا من حسن حظك .

لم تدر أى سحر فعلته تلك الابتسامة فى نفسها ..

لقد زايلها فجأة كل التوتر والخوف والحزن ..

زايلها كل الألم ، وكأنما محته ابتسامة (حسن) تماماً ..

ووجدت نفسها تبتسم بكل ثقة ، وتتجه إلى الحجرة بخطوات ثابتة ، لتقف أمام مدير الشركة ، والرجال الثلاثة ، الذين هم — بحسب القواعد — لجنة الاختبار ..

وكان الاختبار بسيطاً تافهاً ، لا يليق بالوظيفة التى أعلنت عنها الشركة ، مما جعلها توقن من رأى (حسن) بأن كل هذا مجرد مسرحية بلا طائل ، حتى اكتفت اللجنة بإجاباتها ، وأخبرها المدير فى هدوء ، وبلهجة روتينية ، أنها لم تنجح ، وأنه يؤسفه عدم قبولها للوظيفة ..

ومن العجيب أنها قد استقبلت هذا القرار فى هدوء وسكينة ، على الرغم من الآمال العريضة ، التى وضعتها

على تلك الوظيفة طوال الأيام الثلاثة الماضية ، ونهضت فى بساطة ، لتغادر مكتب المدير ، الذى انهمك فى حديث جانبى مع أفراد لجنة الاختبار ، قبل أن تغادر هى الحجرة ..

وأدهشها أن وجدت (حسن) ينتظرها بابتسامته المشرقة ، ولقد نهض من مقعده فور مغادرتها الحجرة ، فى حين غمغم الساعى فى خمول :

ـ التـالى .

ثم عقـد حاجبيـه وهـو يتطلـّع إلى (حسن) و (صفية) ، ومطّ شفتيه فى ضجر ، حينما تبين أنه لم يعد هناك تال ، فى حين ابتسم (حسن) و (صفية) لهفوته ، وقال (حسن) فى هدوء :

ـ كيف كان الأمر ؟

أجابته فى هدوء :

ـ سلبى .

أطلق ضحكة صافية قصيرة ، وهو يقول :

ـ ألم أقل لك ؟

شاركته ضحكته ، ثم لم تلبث مشاعر الحنق والمرارة أن عاودتها ، فهتفت فى سخط :

ـ كيف يضيعون الوقت والمجهود هكذا ؟

هزَّ كتفيه وهو يقول :

ـ اللوائح والروتين والقواعد .

هتفت فى حنَق :

ـ تبًّا لكل هذا .

حملت ابتسامتـه الكثير من العطف والإشفاق ، وهو يقول :

ـ ينبغى أن تعتادى ذلك .

غمغمت فى عصبية :

ـ سأحاول .

كانا قد وصلا إلى باب الشركة الخارجى ، فتوقفت لتقول فى حزم :

ـ أسعدنى تعرفك يا أستاذ (حسن) .. ووداعاً ..

هتف فى لهجة أدهشتها ، بكل ما تحمله من لوعة ولهفة :

— لماذا ؟

تطلعت إليه فى دهشة ، ثم عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

— أظن أننا قد وصلنا إلى الشارع .. أليس كذلك؟

سألها فى همس مشفق :

— وهل يحتم هذا أن نفترق ؟

أغضبها قوله ، فهتفت :

— من تظننى ؟ .. إننى فتاة محترمة و ..

قاطعها فى لهجة حزينة زادت من دهشتها :

— لم أشك فى هذا لحظة واحدة ، وما كنت لأنتظرك لولا ثقتى من ذلك .

سألته فى حِدَّة :

— ماذا تريد منى إذن ؟

تطلع إليها فى حيْرَة ، وكأنما يبحث عن جواب ، أو وسيلة مناسبة لإقناعها بشىء ما . ثم قال فى هدوء :

— كلانا يبحث عن وظيفة ، وهذا أمر شاق كما تعلمين ، فلمَ لا نبحث معاً ؟

هتفت فى توتر :

— ولمَ لا يبحث كل منا وحده ؟

استقبلتها ابتسامته الهادئة المشرقة ، التى شابها — فى هذه المرة — الكثير من الحياء ، وهو يغمغم :

— اثنان أفضل من واحد .. أليس كذلك ؟

كانت تعتزم الرفض فى شدة ، وتسفيه رأيه فى عناد وإصرار ، ولكن شيئاً ما فى ابتسامته وملامحه ، ونظرة عينيه المتلهفة ، أذاب كل صرامتها وعنادها ، ووجدت نفسها تستكين ، وملامحها تلين ، وصوتها يرق ، وهى تسأله :

— وماذا لو لم نجد سوى وظيفة لشخص واحد ؟

— النساء أولا .

قالها بالإنجليزية ، وبلهجة مرحة بسيطة جعلتها تبتسم ، وجعلت حمرة الخجل تتصاعد إلى وجهها ، وهى تقول :

— فى هذه الحالة سأفكر فى قبول عرضك .

تهللت أساريره فى سعادة ، وهتف بصوت يحمل فرحة طاغية :

– شكراً يا آنسة (صفية) .. شكراً لثقتك .

ابتسمت وهى تقول فى خجل :

– المهم أن تكون أهلا لتلك الثقة .

هتف فى ثقة وحماس :

– ستؤكد لك الأيام ذلك .

ولكن من يعلم ماذا تخفيه الأيام ؟ ...

* * *



٢ ـ رحلة البحث ..

شهر كامل مرَّ منذ ذلك اللقاء الأول ..

شهر كانا يلتقيان كلَّ صباح فيه ؛ ليواصلا رحلة بحثهما عن العمل ..

شهر اقتصرت علاقتهما فيه على اللقاء فى الثامنة صباحاً ، فى ميدان التحرير ، فى قلب القاهرة ، والسعى طوال اليوم بين الشركات والمحال التجارية ؛ بحثاً عن عمل ، حتى يشملهما الإرهاق ، فيعودا إلى ميدان التحرير ، حيث يفترقان فى ودّ ووعد باللقاء فى اليوم التالى ..

وطوال ذلك الشهر كانت أحاديثهما تدور حول العمل ، والأمل ، وأحلام المستقبل ، حتى كان ذلك اليوم ، بعد تمام الشهر ، وبعد أن أعياهما البحث ، فجلسا متجاورين ، على حافة سور مبنى حكومى قديم ، وغمغمت (صفية) فى سخط وإحباط :

– يبدو أنه ليس هناك من أمل .

ابتسم (حسن) فى إرهاق ، وهو يغمغم :

— الأمل باق ما بقيت الحياة يا (صفية) .

غمغمت فى حدة :

— هراء .

ران عليهما الصمت طويلا ، ثم التفت إليها (حسن) ، واختفت ابتسامته من فوق شفتيه لأول مرة ، منذ لقائهما الأول ، وهو يقول بلهجة بالغة الجدية :

— (صفية) .. ألا ترين معى أنه هناك أمر عجيب فى علاقتنا ؟

تطلعت إليه ، وهى تسأله :

— أى أمر ؟

صمت لحظة أخرى فى تردد ، وأدهشها ذلك الوجوم الذى بدا فى ملامحه ، قبل أن يغمغم :

— أليس من العجيب أن أحدنا لا يعلم شيئاً عن الآخر ، بعد شهر كامل من اللقاء اليومى .

شعرت بالارتياح لسؤاله ، فقد راودتها الرغبة فى معرفة المزيد عنه ، طوال الأسبوعين السابقين ، ولكنها

لم تجرؤ على سؤاله ، على الرغم من ارتياحها الكامل لشخصيته وأسلوبه ، وثقتها التامة فى أخلاقه ، وحسن تهذيبه ، فأجابته فى هدوء :

— ماذا تريد أن تعرف يا (حسن) ؟

غمغم فى جدية ، وهو يشيح بوجهه ، وكأنما يخشى مواجهتها :

— ما ترغبين أنت فى الإفصاح عنه يا (صفية) .

ابتسمت فى حنان ، وهى تتطلع إليه ، وشعرت بالإعجاب بأسلوبه المهذب ، وإصراره على ألا ينتزع منها ما ترفض منحه ، وانتابتها رغبة شديدة فى أن تروى له كل شىء عن نفسها ..

رغبة لم تحاول مقاومتها ، وهى تقول فى بساطة وحنان :

— سأخبرك يا (حسن) .. سأخبرك بكل حياتى .

* * *

من العسير أن تبدأ (صفية) قصة حياتها منذ البداية ؛ فهى نفسها لا تدرى متى بدأت تلك القصة ، وأين ؟ ..

كل ما تذكره (صفية) هو أنها قد نشأت فى ملجإ للأيتام واللقطاء ..

ملجإ لا يعلم أحد فيه من هى ..

حتى الاسم الذى تنسب إليه ، والذى يعقب اسمها. اسم (محمود عبد الفضيل) ، لا تعلم ما إذا كان اسم والدها الحقيق ، أم اسم الرجل الكريم ، الذى أشفق عليها من أن تحيا بلا لقب ، فمنحها اسمه ، ولقبه ، دون أن يريها وجهه طوال سنوات عمرها العشرين ..

حتى اسمها ، (صفية) ، لا تدرى من منحهـا إياه ..

أهو والدها الحقيق ، أم أمها المجهولة ، أم إدارة الملجإ ، الذى عاشت بين جدرانه طيلة عمرها ..

لقد نشأت (صفية) وسط (عنبر)، يضم تسع عشرة فتاة مثلها ، بين صرامة المشرفات ، وقسوة الحاجة والحرمان من الحنان ، ولكنهـا كافحت لتتفـوق على قريناتها ، وتبزّهن فى كل ما يتعلمنه داخل الملجإ، حتى حصلت على الشهادة الابتدائية بتفوق ، فألحقتها إدارة

الملجإ بمدرسة إعدادية تحت إشرافها ، ونقلتها إلى (عنبر) آخر ، يضم تسعاً أخريات فحسب ..

ثم حصلت على الشهادة الإعدادية بتفوق أيضاً ، وأرادت إدارة الملجإ أن تلحقها بمدرسة ثانوية ، إلا أن لهفتها للخروج من الملجإ ، الذى بدا لها منذ حداثتها أشبه بالسجن ، جعلتها تفضل الالتحاق بالتعليم الفنى التجـارى ، لتحصل على شهـادة متوسطة ، تتيح لهـا العمل ، ومغادرة الملجإ بصفة رسمية ..

وبوصولها إلى مرحـلة التعليم الفنى ، واجتيازها ذلك الحد الفاصل بين الطفولة والأنوثة ، ازدادت صرامة المشرفات فى معاملتها ، وقسوتهن فى تفسير أى موقف لها ، على الرغم من نقلها إلى حجرة تضم زميلتين فقط (سمية) و (نوال) ..

وعلى الرغم من الظروف القاسية التى تجمع ثلاثتهن إلا أن التآلف بينهن لم ينشأ إلا بعد عامين كاملين من المشاحنات والتصارع ..

لم يكن تآلفاً بالمعنى المفهوم ، وإنما يمكن أن نطلق

عليه اسم المعايشة السلمية ، بلا صداقة أو تآخ ..

وأخيراً حصلت (صفية) على دبلوم التجارة المتوسطة ، وتصورت أن رحلة بحثها عن الحرية والاستقلال قد بلغت نهايتها ، وأنها ستحصل أخيراً على عمل يتيح لها ذلك ..

ولكن هيهات ..

إن انتظار خطاب القوى العاملة يحتاج إلى خمس سنوات على الأقل ، وليس أمامها سوى البحث عن عمل ، بكل الوسائل الممكنة ..

بكل الأمل فى الحرية والخلاص ..

بكل اللهفة ..

ولقد بحثت طويلا ، حتى التقت بـ (حسن) ، وهاهما يواصلان رحلة بحثهما معاً ..

وهذه هى قصتها باختصار ..

* * *

ظل (حسن) هادئاً ، يستمع إلى (صفية) فى اهتمام ، حتى فرغ ما لديها ، وساد بينهما صمت ، خيل

إليهما أنه شامل تام ، على الرغم من ضجيج المارة والسيارات حولهما ، حتى قال (حسن) فى صوت مشفق حنون :

— لقد عانيت الكثير يا (صفية) .

غمغمت فى مرارة :

— لقد اعتدت المعاناة .

ساد بينهما الصمت لحظات أخرى ، وشعرت هى باللهفة لسؤاله عن حياته ، إلا أنها لزمت الصمت فى حياء ، حتى سمعته يقول فى هدوء ، دون أن تلتقى عيناه بعينيها :

— قصتى تتفق مع قصتك بعض الشىء يا (صفية) ، باستثناء أننى عشت بين والدىَّ حتى بلغت الثامنة من العمر ، ثم وقع الحادث .

صمت مرة أخرى ، لتمتلئ نبراته بالمرارة ، وهو يستطرد :

— انهار منزلنا القديم المتداعى فجأة ، وبلا مقدمات ، ليدفن تحت أنقاضه أسرتى كلها .. أبى ..

أمى .. أشقائى ، شقيقاتى .. الجميع لقوا حتفهم فجأة ، ما عداى .. شاء القدر أن أكون خارج المنزل ، حينما انهار فوق رءوس الجميع .

خفق قلبها حزناً ، وهى تستمع لكلماته المريرة ، المفعمة بالحزن ، وتمنت لو أنها احتضنته ، وربتت على رأسه بكل حنانها وحبها ، إلا أنه عاد يبتسم ابتسامة مريرة باهتة ، وهو يردف فى هدوء :

ـ لست أدرى أكان ذلك من حسن حظى ، أم من سوء قدرى ، فلقد وجدت نفسى فجأة يتيم الأبوين بلا أسرة .. بلا مأوى .. بلا أمل .. وأشفق علىّ بعض أفراد الأسرة ، فأخذت أتنقل بين منازلهم ، وكل منهم يمنحنى عطفه أياماً ، ثم يركلنى بقسوته بعد أشهر قليلة وكأنما أصبحت حملا ثقيلا على الجميع ، على الرغم من أننى كنت أبذل أقصى جهدى ، كيلا أثير ضيقهم أو غضبهم ، بل إننى كنت أتناول أقل قدر من الطعام ، خشية أن أثقل ميزانياتهم بطعامى وشرابى .

تطلعت (صفية) فى إشفاق إلى جسده الضئيل

النحيل ، وعاودتها تلك الرغبة فى احتضانه ومنحه حنانها ، فى حين واصل هو فى هدوء :

ـ واحتملت كل هذا فى استسلام ، حتى حصلت على الثانوية العامة ، وهنا برزت المشكلة الكبرى ، وأبرزت أنيابها الوحشية القاسية ، فلقد كنت أقيم ـ فى ذلك الحين ـ فى منزل عمى ، الذى كان له ابن فى مثل سنى ، لم يحصل على الثانوية العامة فى ذلك العام ، ففوجئت بعمى يرفض التحاق بالجامعة فى إصرار ، لمجرد أن ابنه لم يلتحق بها ، ولما وجد منى إصراراً على مواصلة دراستى ، هددنى بطردى من منزله ، والامتناع عن الإنفاق علىّ ، ولا يمكنك أن تتصورى كم آلمنى ذلك ، وكم حاولت تلافيه ، إلا أننى ، وبعد إصراره ، لم أجد أمامى سوى ترك منزله ، وقلبى ينبض بكل المرارة والألم ، وقضيت ليلتى هائماً فى الطرقات ، لست أدرى أين أذهب ، ولا كيف سأحيا لأواصل الطريق الذى تمنيته لنفسى ومستقبلى .

وزفر فى مرارة ، قبل أن يستطرد :

– لا أريد أن أجرح مشاعرك الرقيقة ، بأن أروى لك كيف قضيت الأشهر الخمسة ، التى تلت ذلك ، فعلى الرغم من عذابك أنت ، كنت تنعمين على الأقل بمأوى تقضين فيه ليلتك ، وهذا ما لم أحظ أنا به طوال تلك الأشهر الخمسة .. كان عذاباً رهيباً ، لم أشعر بمثله أبداً ، ولا أتمناه حتى لألدّ أعدائى ، حتى شارفت على الانهيار ، وأصبحت أشبه بالمتسولين ، مهلهل الثياب ، زرىّ الهيئة ، بائساً ، شاحباً ، ذليلاً .. ولكننى التحقت مع ذلك بكلية التجارة ، دون أن أطأ أرضها شهرين كاملين .. ثم عثرت على عمل فى مطعم صغير ، من تلك المطاعم المنتشرة حول جامع الحسين .. كان عملا حقيراً ، ولكنه يكفل لى الطعام ، والأجر ، والمأوى ، حيث كنت أقضى ليلى على فراش مهلهل ، فى مطبخ المطعم ..

كان صوته يتهدج تدريجيًّا ، حينما وصل إلى ذلك الجزء من قصته ، وانعقد حاجباه ، وبدا شديد المرارة والأسى ، حتى لقد انفطر قلب (صفية) ، وهى

تستمع إليه ، ولم تشعر بكفها ، الذى تسلل إلى كفه فى تلقائية ، واحتضنه فى حنان وإشفاق ، فعادت إلى شفتيه ابتسامته ، وتألق فى عينيه الأمل ، وهو يتابع :

– كان من المستحيل طبعاً أن أجتاز سنوات الدراسة فى كلية التجارة ، وسط هذه الأجواء المشحونة بالآلام والمرارة ، فرسبت فى العام الأول ، وكافحت طويلا حتى اجتزته فى السنة التالية ، مما جعل صاحب المطبخ يشفق علىّ ، وعلى كفاحى ، فترك لى النهار كله للدراسة ، ولم يعد يطالبنى إلا بالقليل من العمل فى المساء ، دون أن يخفض من أجرى ، أو يسىء معاملتى ، ولقد أدهشنى أن الحنان والعطف ، اللذين افتقدتهما فى محيط أسرتى ، قد برزا فى قلب رجل لا يمت لى بأدنى صلة .. رجل كريم مؤمن ..

صمت ليتنهد فى عمق ، ثم أردف فى هدوء :

– وبعد خمس سنوات ، حصلت أخيراً على بكالوريوس التجارة ، ولا يمكنك أن تتصورى فرحة صاحب المطعم الكريم الشهم ، الذى عانقنى وقبلنى فى

سعادة ، وهو يهنئنى بالنجاح ، كما لو كنت ابناً من أبنائه ، ولا كم كان كريماً حينما منحنى حجرة فوق سطح منزله ، بعقد إيجار معقول ، وأثثها من جيبه الخاص بأثاث متواضع ، وزاد من أجرى ، وسلمنى حسابات مطعمه ، وهو يفخر بى فى كل مناسبة ومجتمع ..

وعاد الحزن يكسو صوته وملامحه ، وهو يتابع :

— ولكن القدر لا يبتسم دوماً ، ودوام الحال من المحال ، فلقد توفى ذلك الرجل الكريم منذ سبعة أشهر ، وما أن تسلم أبناؤه الخمسة ميراثهم ، حتى أغلقوا المطعم وقرروا تحويله إلى متجر لبيع التحف الشعبية ، وكان نصيبى هو الفصل والإهانة ، وظهرت كراهيتهم لى واضحة ؛ لأن والدهم كان يؤنبهم على نجاحى ، على الرغم من كل ما أمرّ به من عقبات ، وفشلهم فى دراستهم ، على الرغم من كل ما يوفره لهم من أسباب الراحة ، ولولا عقد إيجار تلك الحجرة ، التى منحنى إياها والدهم فوق سطح المنزل ، لطردونى منها بلا رحمة..

صمت طويلا هذه المرة ، وكأنما يحاول أن يبتلع أحزانه ، ثم عادت ابتسامته إلى شفتيه باهتة شاحبة ، وهو يلتفت إليها ، قائلا :

— وكان علىّ أن أبحث عن عمل ، وهكذا التقينا يا (صفية) .

احتضنت كفه بمزيد من الحنان ، وهى تغمغم فى إشفاق :

— يا إلهى !! .. إن مأساتى تتضاءل أمام عذابك يا (حسن) .

ابتسم وهو يربّت على كتفها ، مغمغماً :

— لقد انتهى العذاب حينما التقينا يا (صفية) .

تصاعدت دماء الخجل إلى وجنتيها ، وسحبت كفها من راحته فى رفق ، وأحاطهما الصمت برهة ، ثم سألته وهى تشيح بوجهها لتخفى خجلها :

— ولكن كيف يمكنك أن تحافظ على ابتسامتك ، وسط كل هذا ؟

همس فى لهجة حملت إلى قلبها فيضاً من الحب :

— هذا هيِّن ، ما دمت إلى جوارى يا (صفية) .

التفتت إليه، وتلاقت عيناهما ، وتخاطبتا ، وقرأت فيهما (صفية) حديثاً طويلا ، فانتفض جسدها ، وهى تسأله :

— ما ذا تعنى يا (حسن) ؟

التقط كفيها ، واحتضنهما فى حب وحنان ورفق، وتطلع إلى عينيها ، وهو يقول فى همس يحمل قدراً لا حصر له من اللهفة :

— هل تتزوَّجيننى يا (صفية) ؟

وتحجرت عيناها ، وغاصتا فى أعماق عينيه ..



٣ ـ القرار ..

« أتزوجك ؟ ! ! .. » ..

نطقت (صفية) بهذه الكلمة فى لهجة عجيبة ..

لهجة تجمع ما بين الدهشة ، والحيرة والجزع ، والرهبة .. فى آن واحد ..

نطقتها بكل ما اعتمل فى أعماقها من مشاعر ، عندما نطق (حسن) سؤاله ..

وتجلت كل تلك المشاعر فى عينيها ، وقرأها (حسن) ، فخفق قلبه فى ارتياع ، وهو يغمغم مرتبكاً مندهشاً :

— ماذا هناك يا (صفية) ؟ .. أتظنين أننى قد تجاوزت حدودى ؟!

هتفت فى أسى :

— لا ، ولكن ..

سألها فى مرارة :

— ولكن ماذا ؟

حارت طويلا فى البحث عن جواب ينقل إليه

حقيقة مشاعرها ، وطال صمتها ، حتى سألها فى ارتباك :

ــ أتفضّلين عدم التحدث فى هذا الآن ؟

التقت عيونهما ، وهى تغمغم :

ــ بالعكس يا (حسن) .

شاب صوته بعض الحدة ، وهو يسألها :

ــ ما الأمر إذن ؟

قرأت فى عينيه عتاباً ، ولوماً ، وحيْرَة ، فأشاحت بوجهها ، وهى تغمغم فى حزن :

ــ الفكرة نفسها تدهشنى .

ــ أية فكرة ؟

ــ أن نتزوج .

ــ فكرة الزواج عامة ، أم الزواج بى بالذات ؟

ــ حاول أن تفهمنى .

ــ ساعدينى على ذلك .

ــ الزواج له متطلبات .

ــ أتقصدين المهر والشبكة والأثاث و .. ؟

ــ بل المعيشة .. إن كلاًّ منا يعول نفسه بصعوبة ، فكيف يمكننا أن نتزوج ؟

تطلع إليها بنظرة خاوية ، وكأنما عجز عن هضم منطقها ، ثم تسللت يداه لتلتقطا كفيها الرقيقتين ، ورفعهما إلى عينيه ، وهو يتطلع إلى عينيها السوداوين مباشرة ، ويقول فى جدّية وحنان :

ــ اسمعينى يا (صفية) .. لقد فكرت فى الأمر طويلا ، وحاولت دراسته من كل الوجوه ، ولكننى لم أجرؤ على محادثتك فيه ؛ لأننى لم أكن أعلم تماماً من أنت ، وكيف تعيشين ، ولكن بعد معرفتى وجدت أن زواجنا سيجعل الأمور أكثر بساطة ، ولن يعقدها كما تتصورين .

هتفت فى حيرة وعذاب :

ــ كيف ؟ !

أجابها فى حماس هامس :

ــ ماذا يضيرنا لو تزوجنا ؟ .. صحيح أننى أقيم فى حجرة واحدة ، فوق سطح منزل قديم ، ولكنها

تكفينا لو أن كلاً منا يحب الآخر ، وبدلا من أن نلتقى يوميًّا فى ميدان التحرير ، سنستيقظ معاً ، ونذهب للبحث معاً ، وستكون هذه فرصة مناسبة لك ، لمغادرة الملجأ ، وسنكافح معاً ، ونصارع نوائب الحياة يداً واحدة ، وسننجح يا (صفية) .. سننجح بحبنا :

ترقرقت فى عينيها الدموع ، وهى تغمغم فى مرارة:

ـ مستحيل يا (حسن) .. مستحيل .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنه مستحيل فى حالة واحدة يا (صفية) .

واختلط حزنه بصرامته ، وهو يستطرد :

ـ أن ترفضين الزواج منى أنا بالذات .

سالت دموعها على خديها ، وهى تهتف :

ـ أنا لا أرفضك يا (حسن) .. بالعكس .. إننى لم أتمن زوجاً أفضل منك، فأنت رقيق ، حنون ، قوى الشخصية ، مهذب .. إنك حلم أية فتاة يا (حسن) ، ولكنهم سيرفضون .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـ سيرفضون ؟! .. مَنْ تعنين ؟

أجهشت فجأة ببكاء حار ، وهى تجيب :

ـ إدارة الملجأ .. هل نسيت أنهم أولياء أمرى؟. وأننى بالنسبة لهم لست أكثر من عهدة حكومية ، لا يمكنهم تبديدها دون مستندات رسمية ؟! .. إنهم سيفرضون شروطهم حتى على زواجى ، سيسألونك ماذا تعمل ؟ وكم تربح ؟ وسيطالبونك بمستندات تثبت كل ما ستقول ، وسيبدو لك الأمر كما لو كنت أمام وكيل نيابة مصاب بالسادية ، ويتلهف لإدانتك وإرسالك إلى حبل المشنقة .. ولن تجد أجوبة ترضيهم أبداً ؛ لأن هذه هى الحقيقة .. هل ستخبرهم أنك تقيم فى حجرة واحدة على سطح منزل قديم ؟ .. وأنك متعطّل من العمل ؟ .. هل سيوافقون ؟ .. صدقنى يا (حسن) .. إننى أقولها بقلب يدمى ، ولكنها الحقيقة. إن زواجنا مستحيل .

هتف فى ألم وسخط :

ـ وما شأنهم بزواجك ؟ .. إنه حق شخصى ..

لاحق يجوز لأى مخلوق ـ سواك ـ رفضه أو قبوله .
انسالت دموعها كالحمم ، من بركان عينيها الحزينتين ، وهى تهتف :
ـ إنها القواعد مرة أخرى يا (حسن) .. القواعد والروتين .
اتسعت عيناه فى ذعر ، وهو يملؤهما بوجهها الرقيق ، الذى تحوّل إلى نبع حزن عميق ، ثم أشاح بوجهه ، وشملهما الصمت إلا من صوت نحيبها المرير ، وهو جامد شارد ، يتطلع إلى المارة والسيارات فى وجوم ، حتى هتف فجأة فى سخط :
ـ القواعد واللوائح والروتين !! .. حتى فى الحب والزواج تتحكم هذه القاذورات .
ثم التفت إليها فجأة ، وهو يردف فى صرامة :
ـ ولكننا لن نسمح لكل هذا بالوقوف فى طريقنا .
تجمدت دموعها على وجنتيها وهى تسأله فى جزع :
ـ ماذا تعنى ؟
أمسك كفيها فى حزم ، وتطلع إلى عينيها ، وهو يقول :

ـ ماذا لو هربت من الملجأ يا (صفية) ؟
اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تهتف :
ـ أهرب ؟! .. ماذا تقول يا (حسن) ؟
أجابها فى حزم وصرامة :
ـ هل توافقين على الزواج منى يا (صفية) ؟
أجابته فى حيرة وتوتر :
ـ لقد أخبرتك عن الظروف و ..
قاطعها فى حزم :
ـ دعينا من الظروف ، هل توافقين على الزواج منى لو أن الظروف تختلف ؟
تملكتها الحيْرَة ، وهى تتطلع إلى وجهه فى صمت ، فهتف بها :
ـ أتوافقين أم لا يا (صفية) ؟
خفضت عينيها فى حياء وحيْرَة ، وهى تهمس :
ـ نعم يا (حسن) .. إننى أوافق .
زفر فى ارتياح ، فأسرعت تستدرك :
ـ ولكن الهروب من الملجأ ..

قاطعها فى هدوء :

- إنها وسيلتنا الوحيدة يا (صفية) .. متهربين من الملجأ .. وسنتزوج .. ولندعهم يضربون رءوسهم فى الحائط .

هتفت به :

- لن يفعلوا يا (حسن) .. لن يضربوا رءوسهم فى الحائط ، ولكنهم سيبلغون الشرطة بفرارى ، وسأتحول إلى هاربة ، يطاردها رجال الشرطة لإعادتها إلى السجن ، الذى يطلقون عليه اسم ملجأ الأيتام .. هل يرضيك أن أحيا عمرى كله فى فرار دائم ؟

أجابها فى صرامة :

- لن يواصلوا بحثهم إلى الأبد يا (صفية) .. سيتوقفون يوماً ، وسنكون قد تزوجنا ، وأنجبنا - حينذاك - وحتى لو وجدوك بعد أن نتزوج ، لن يكون أمامهم سوى القبول بالأمر الواقع ، فسنكون حينئذ زوجين ، على سنة الله ورسوله .

كانت تنوى أن تعترض وتستنكر ، ولكن الفكرة

بدت لها فجأة مثيرة للاهتمام ، وتستحق التفكير ، فطوال الشهر الذى قضته فى لقاء (حسن) يوميًّا ، تكشفت لها فيه جوانب رائعة ، جعلتها تراه فى صورة فارس أحلامها ، الذى عاش فى أعماقها منذ تخطيها عتبات الأنوثة ..

وبكل حياء ، اعترفت لنفسها أنها تحبه ، وأنها تتمنى أن تقضى عمرها كله إلى جواره ..

ولكنها كانت تخشى الهروب من الملجأ ..

تخشاه خشيتها من مشرفات الملجأ ، وحياته القاسية ..

وعاد (حسن) يسألها :

- أتوافقين أم لا يا (صفية) ؟

عادت تتطلع إليه فى حيْرَة وضياع ، ثم أطرقت بوجهها ، وهى تغمغم :

- لست أدرى يا (حسن) .. لست أدرى .

عاد الصمت يغلفهما برداء قاتم ثقيل ، وكلاهما يتحاشى النظر إلى وجه الآخر ، ويتشاغل بتأمل المارة

والسيارات ، والشوارع المزدحمة ، حتى التفت (حسن) إلى (صفية) ، وقال فى حنان :

— (صفية) .. إننى أعلم أن ما أطالبك به شاق عسير ، ولكنه ضرورة لبقاء حبنا .

ارتجفت مع ذكر كلمة الحب، وغمغمت فى لهفة :

— ماذا قلت ؟

ابتسم ، وقد فهم مغزى سؤالها ، وقال فى حب :

— قلت حبنا يا (صفية) .. أنا أحبك .. أحبك يا أرق مخلوقة فى الوجود .

اختلج قلبها فى سعادة غامرة ، حينما نطق بذلك ..

كانت تعلم ، منذ أفصح لها عن مشاعره ، أنه يحبها ، ولكنها كانت تتوق إلى سماع تلك الكلمة من بين شفتيه ..

ولقد قفزت الكلمة من بين شفتيه إلى أعماق قلبها مباشرة ، وجعلته ينتفض ويرتجف .. ويستسلم ..

وقررت أن تعلن له موافقتها على الهروب من الملجأ ، والزواج منه ، لولا أن قال فى جدّية واهتمام :

— لاتتخذى قرارك بسرعة يا (صفية) .. ادرسيه أولا ، ولا تترددى فى تنفيذ ما تتخذينه من قرار .

أومأت برأسها موافقة فى حياء ، فاستطرد بنفس جدّيته واهتمامه :

— إننا لن نلتقى غداً يا (صفية) .. سأمنحك يوماً كاملا للتفكير .. بل يومين .. وبعدهما سأنتظرك فى نفس المكان ، فى ميدان التحرير ، فى الثامنة صباحاً كالمعتاد ، ولو أتيت فسأعلم أنك قد اتخذت قرارك بالموافقة ، أما لو كان قرارك بالرفض فلا تأتى ؛ لأننا لن نلتقى بعد ذلك .

نطق عبارته الأخيرة فى صرامة ، فابتسمت ، وغمغمت فى هدوء :

— أهو موعد عمل جديد ؟

ابتسم ابتسامته المشرقة، وهو يقول فى حنان غامر :

— بل موعدنا يا (صفية) .. موعد حبنا .. أو وداعنا .

* * *

٤ ــ القــرار • ◦

لم تنم (صفية) لحظة واحدة طوال تلك الليلة ..

لم يغمض لها جفن وهى تفكر فيما قاله لها (حسن) وتقلّبه على كل الوجوه ..

لقد فارقته وهى تصرّ على الموافقة ، ولكنها لم تكد تطأ فناء الملجأ بقدميها ، حتى عاودتها كل مخاوفها ، وبات لها اتخاذ القرار صعباً عسيراً ..

ولقد قضت ليلتها كلها تحاول حسم أمرها ..

ومع أول نسمات الفجر كانت قد اتخذت قرارها .

لقد اختارت الحب ..

اختارت (حسن) ..

وعلى الرغم من الأرَق الذى لازمها طيلة الليل ، إلا أنها بدت فى الصباح مفعمة بالنشاط ، وهى تدلف إلى حجرة مديرة الملجأ ، وتلقى عليها تحية الصباح ، ثمّ تقول فى مرح :

ـ لقد عثرت على وظيفة .

رفعت مديرة الملجأ عينيها عن الأوراق التى تطالعها وحدجتها بنظرة صارمة ، قبل أن تقول :

ـ خيراً فعلت .. أية وظيفة هى ؟

أجابتها فى هدوء :

ـ سكرتيرة فى شركة خاصة .

عادت المديرة إلى أوراقها ، وهى تسألها فى صرامة :

ـ ما اسم هذه الشركة ؟ .. ومن صاحبها ؟ .. وهل هى مضمونة أم لا ؟ ..

تركت المديرة تلقى أسئلتها ، وهى تجيبها فى هدوء ..

لم يكن الأمر يقلقها ، على الرغم من سخافته ، فقد كانت قد أعدّت كل الأجوبة ، بعد أن اتخذت قرارها وحسمت أمرها ..

لقد أعدت هذه الخطة حتى يمكنها أن تحصل على أوراقها من الملجأ ، قبل أن تفرّ منه مع (حسن) ..

كانت تريد شهادة ميلادها ، وشهادة تخرّجها ، وكل الأوراق التى ستحتاج إليها ، حينما تبحث عن عمل وحينما تتزوج حبيبها (حسن) ..

ولقد نجحت خطتها ، فبعد سيل من الأسئلة الصارمة ، عادت المديرة ترفع إليها عينيها الصارمتين ، وتسألها :

– ماذا تريدين ؟

أجابتها فى ارتباك :

– أوراق .. إنهم يطلبونها فى الشركة .

مطت المديرة شفتيها فى ازدراء ، ثم عادت إلى أوراقها ، وهى تجيب فى صرامة :

– سنسلمك إياها ، ولكن كعهدة شخصية ، وليكن معلوماً لديك أننا سنسترجع كل هذه الأوراق ، إذا ما وجدنا أن العمل غير مناسب ، أو لا يوافق مؤهلك .

غمغمت (صفية) :

– أعلم ذلك .

ولكنها شعرت بسعادة جمة ، وهى تحصل على أوراقها ، فأسرعت إلى حجرتها ، وبدأت تعد حقيبتها الصغيرة ، ولم يستغرق منها ذلك وقتاً طويلا ، فلم تكن

تملك من حطام الدنيا سوى ثوبين ، ترتدى أحدهما فى كل مرة .. ولقد كانت ترتدى أحدهما بالفعل ..

لقد أصبح كل شىء معدًّا الآن ، وكل ما عليها هو انتظار الغد ..

الغـــد ..

متى يأتى الغد ؟ ..

بدا لها اليوم طويلا ، ثقيلا ، والدقائق تمضى فى بطء مثير للأعصاب ، حتى مالت الشمس إلى الغروب .

وبينما كانت تتناول طعام العشاء مع زميلاتها ، دخلت المديرة إلى قاعة الطعام ، وقالت فى صرامة :

– فلتكنّ جميعاً مستعدات غداً يا بنات ، ستأتى لجنة من وزارة الشئون الاجتماعية لتفقد الملجأ .. لا خروج غداً .. ستبقين جميعاً هنا .

شحب وجه (صفية) ، وهتفت فى جزع :

– ولكن يا سيدتى .. الموعد .. أعنى موعد الوظيفة .

عقدت المديرة حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

– ستلغى كل المواعيد غداً .. لا أريد أية أخطاء و ..

قاطعتها (صفية) فى لوعة :

– ولكن هذا مستحيل يا سيدتى .. إنه مستقبلى .. إنه ..

قاطعتها المديرة فى صوت حازم صارم ثائر :

– لقد سمعت أوامرى ، ولن أناقش كلمة واحدة منها ..

امتقع وجه (صفية) ، وخيِّل إليها أن مقعدها يبتلعها بلا رحمة ، وأنها تنكمش ، وتتهاوى ، وتنهار ، فى حين استدارت المديرة ، وغادرت المكان فى غضب ، وساد بعد انصرافها الصمت لحظات ، ثم ارتفعت أصوات الفتيات ، وهن يتمازحن ، ويسخرن من أسلوب المديرة ، فيما عدا (صفية) ، التى بدت شاحبة ضائعة ، كما لو أنها فى النزع الأخير ، فمالت زميلة حجرتها (سمية) على أذنها ، وهى تقول فى إشفاق :

– إنها مجرد وظيفة يا (صفية) .

حدجتها (صفية) بنظرة ضائعة شاردة ، وانسالت الدموع من عينيها ، وهى تقول فى مرارة :

– ليست وظيفة يا (سمية) .. إنها حياتى .. حياتى ومستقبلى .

ربّتت (نوال) على كتفها فى عطف ، وهى تهمس :

– ستجدين غيرها بإذن الله يا (صفية) .

أجهشت بالبكاء ، وهى تقول فى مرارة :

– مستحيل .. لن أجد مثل (حسن) أبداً ..

لم تنتبه إلى زلة لسانها إلا بعد أن نطقت اسمه ، ففتحت عينيها عن آخرهما فى ارتياع ، وهى تتطلع إلى زميلتيها (سمية) و (نوال) ، ورأتهما يتبادلان نظرة دهشة ، فأسرعت تقول فى جزع :

– أقصد شركة (حسن) للـ ..

أوقفتها (نوال) بإشارة من يدها ، ثم أشارت إليها وهى تهمس فى جدّية :

– تعالى .

خفق قلبها فى لوعة ، وهى تتبع (سمية) و(نوال) إلى حجرتهم المشتركة ، ولم تكد (سمية) تغلق الباب خلف ثلاثتهم ، حتى غمغمت (صفية) فى ارتباك :

— يبدو أنكما قد أسأتما فهمى .. لقد كنت أقصد حقًّا شركة ..

قاطعتها (نوال) بإشارة أخرى من يدها ،وابتسمت فى حنان ، وهى تميل عليها قائلة :

— اسمعى يا (صفية) .. ربما كان تعاملنا معاً فى الماضى لا يوحى بأية صداقة أو محبة ، ولكن هذا لايعنى أننى و (سمية) مجردتان من المشاعر والعواطف ، اعتبرينا أختين لك ، وقصّى علينا قصتك الحقيقية .

ترددت (صفية) وهلة ، ثم وجدت نفسها تندفع لتقصّ عليهما الأمر كله ..

كانت تشعر بارتياح شديد ، وهى تفرغ كل هموم صدرها فى آذانهما ..

واستمعتا إليها فى صمت، دون أن يقاطعاها لحظة واحدة ، حتى انتهت من قصتها ، فتبادلتا نظرة مشفقة

حانية ، وسألتها (سمية) فى عطف :

— هل تحبينه حقًّا يا (صفية) ، على الرغم من أنكما قد تعارفتما منذ شهر واحد .

أجابتها فى حزن :

— إن (حسن) شاب نظيف رائع ، لا تحتاج الواحدة منا لأكثر من ساعة ، حتى تهيم به .

تبادلت (سمية) و (نوال) نظرتهما المشفقة مرة أخرى، ثم ربّتت (نوال) على شعر (صفية) فى حنان وهى تقول :

— لا تترددى فى اللحاق به إذن .

هتفت (صفية) فى يأس :

— كيف؟! .. لقد أعلنت المديرة حظر التجوال :

عقدت (سمية) حاجبيها ، وهى تقول فى حزم :

— إن حظر التجوال لن يبدأ غير صباح غد ، وهذا يعنى ضرورة مغادرتك الملجأ اليوم .

هتفت (صفية) فى دهشة :

— كيف ؟

تطلعت (نوال) إلى ساعتها ، وأجابتها فى حماس :
– إنها السابعة والنصف الآن ، وأبواب الملجأ تغلق فى الثامنة ، وهـذا يعـنى أنه أمامك نصف ساعـة للانصراف .

هتفت (صفية) فى توتر :
– ولكنهم سيكشفون فرارى ، حينما يراجعون الحجرات فى التاسعة ، وقد يبلغون الشرطة .
أجابتها (سمية) فى حزم :
– اطمئنى .. لن يكشفوا غيابك .
ولم تكد تلمح الدهشة فى عينى (صفية) ، حتى استدركت فى سرعة :
– أنتما تعلمان أن زميلتنا (نجلاء) قد حصلت ، منذ أسبوعين ، على عمل كممرضة فى مستشفى (النصر) التخصصى ، ومن المفروض أن تعمل فى نوبة ليلية اليوم ، ولديها إذن بالخروج فى الثامنة ، وأنا واثقة من أنهـا لن تعـترض ، إذا ما حصـلت على إجازة من نوبتهـا بأية حجة ، وقضت ليلتهـا فى فراش (صـفية)

حتى تظنها المشرفات هى ، فلا ينتبهن إلى غياب (صفية) حتى الصباح .
سألتها (صفية) فى لهفة :
– هل تظنين أنها ستوافق ؟
هتفت (سمية) فى حماس :
– بالتأكيد .
تهللت أسارير (صفية) ، وعاد الأمل إلى قلبها ، ثم لم يلبث أن فارقه دفعة واحدة ، وهى تقول فى يأس :
– ولكن أين أقضى الليـل ، حتى موعـدى مـع (حسن) فى الثامنة صباحاً ؟
أسرعت (نوال) إلى صوانها ، وعادت لتضع فى راحة (صفية) رزمة من الأوراق المالية ، وهى تبتسم قائلة فى حنان :
– اسـتأجرى أفضـل حجرة ، فى أرقى فنـادق (القاهرة) .. إنك تحملين بطاقتك الشخصية .. أليس كذلك ؟

اغرورقت عينا (صفية) بالدموع ، واحتضنت (نوال) فى امتنان ، وهى تقول بصوت متهدج :

– كيف يمكننى ردَّ جميلكما ؟

مسحت (سمية) بأناملها دمعة انحدرت على وجنتها وهى تجبر نفسها على الابتسام ، قائلة فى عطف :

– بأن تصلى إلى (حسن) فى الموعد يا (صفية) .

تطلعت إليها (صفية) فى عرفان ، وهى تقول فى هيام وحب وسعادة :

– سأذهب يا (سمية) .. لن أتخلف عن موعدى مع (حسن) أبداً .. أبداً .

* * *



٥ ـ الحادث ..

ليلة أخرى لم يغمض فيها جفن (صفية) ، على الرغم من أن كل شىء سار على ما يرام ..

لقد نجحت فى مغادرة الملجأ فى الثامنة إلا خمس دقائق ، باستخدام تصريح خروج (نجلاء) ، ووجدت حجرة فى فندق أنيق ، على بعد كيلومتر واحد من الملجأ ، وعندما قامت مشرفات الملجأ بدورة التفتيش الليلية كانت (نجلاء) ترقد فى سرير (صفية) ، وسجلت مشرفة الدور اكتمال العدد ..

كل شىء سار على ما يرام ، ولكن (صفية) لم تنم لحظة واحدة طيلة الليل ..

لم تنم ؛ لأنها كانت تشعر بفرحة غامرة ، تملأ كيانها ، وتتراقص فى كل خلية من خلاياها ..

فرحة قرب لقاء حبها ..

وقضت ليلتها كلها فى انتظار الموعد ..

موعدها مع (حسن) ..

مع الحيـــاة ..

مع المستقبل ..

ولم تكد عقارب الساعة تعلن عن تمام السادسة ، حتى حملت حقيبتها ، وسددت حسابها فى الفندق ، وبحثت عن واحدة من سيارات الأجرة ، لتقلّها إلى ميدان التحرير ..

كان موعدها مع (حسن) فى الثامنة ، ولكن لهفتها للقاء جعلتها تحلم بالوصول إلى الميدان ، الذى باتت تعتبره أرض حبها ، ومهد مستقبلها ..

ووجدت (صفية) أخيراً مقعداً فى واحدة من تلك الحافلات الصغيرة ، التى تتجه إلى ميدان التحرير وتضاعف نبض قلبها ، وهى تقترب من ميدان الحب ، وسمعت أحد ركاب الحافلة الصغيرة يقول لرفيقه :

– هل قرأت صحف اليوم ؟ .. إنه حادث رهيب ذلك الذى أصاب ملجأ الأيتام أمس .

خفق قلبها فى عنف ، والتفتت إليه تسأله فى توتر :

– أى حادث هذا ؟ .. وأى ملجأ ؟

أجابها الرجل فى اهتمام :

– ملجأ البنات فى مصر الجديدة .. لقد احترق الطابقان العلويان منه تماماً أمس ، ولقد لقيت عشرون فتاة مصرعهنّ و ..

قاطعته صرختها الملتاعة ، التى أثارت دهشة ركاب الحافلة الصغيرة ، خاصة حينما قفزت إلى السائق ، وتشبثت بذراعه ، وهى تهتف فى مرارة وألم وانفعال :

– قف أرجوك .. قف .. أريد أن أهبط هنا .. أرجوك .

لم يكن السائق يحتاج إلى كل هذا الرجاء ، فقد أوقف الحافلة على الفور ، وشارك الجميع دهشتهم حينما قفزت (صفية) من الحافلة ، وانطلقت تعدو فى الاتجاه المضاد ، ثم لم يلبث أن هز كتفيه فى لامبالاة ، وعاد يواصل سيره بالحافلة نحو ميدان التحرير ..

أما (صفية) فقد انطلقت تعدو ، وكأنها ستقطع كل المسافة ركضاً ، على الرغم من جسدها الضئيل ، وضعفها الشديد ، وهى تتشبث دون وعى منها بحقيبتها

الصغيرة ، التى أصبحت بمثابة الأمل لهـا ، وذهنهـا يصرخ فى لوعة وأسى :

— احترق الملجأ .. احترق .. (سمية) .. (نوال) (نجلاء) !! .. ما مصيرهن ؟ .. ماذا أصابهن ؟ .. يا إلهى !! .. يا إلهى !! ..

لهثت فى ألم وإرهاق ، وقـد بلغ انفعالهـا مبلغه ، واختنقت أنفاسها ، فتوقفت تتلفت حولها فى حيرة ، بحثاً عن سيارة أخرى من سيارات الأجرة ، تعود بها إلى الملجأ ، لتطمئن على زميلاتها ..

ولمحت السيارة التى تنشـدها ، وهى تمرق عـبر الطريق ، فاندفعت إليها ، وهى تلوح بذراعيها فى لهفة ..

وارتفع صرير قـوى لإطارات سيارة ، يقاتل قائدها لإيقافها ، وشعرت (صفية) بصدمة قوية فى جانبها ، وقفز جسدها الضئيل فى الهواء ، وصرخت باسم (حسن) ، ثم ارتطمت بالأرض ..

وأظلمت الدنيا أمامها تماماً ..

* * *

(حسن) أيضاً لم يحتمل الانتظار ..

لقد كان يقف فى ميدان التحرير فى السابعة صباحاً قبل ساعة كاملة من موعده مع (صفية) ..

ولقد بلغ توتره أقصاه ، مع مرور الدقائق ، الذى بدا له بطيئاً ثقيلا ، وعيناه تجوبان المكان فى لهفة ، وقد انحصرت مشاعره كلها فى البحث عن وجه (صفية) بين وجـوه المارة ، وهو يدعو الله (سبحانه وتعالى) أن يكون قرارها بالموافقة ، وأن تأتى فى موعدها ..

لقد كان قلبه كله ينبض بحبها ، على الرغم من مضى شهر واحد على أول لقاء لهما ..

منذ وقعت عيناه عليها فى حجرة الاختبار ، شعر أنها فتاة أحلامه ، التى يبحث عنها منذ مولده ..

جذبته رقتها الواضحة ، وراقت له ملاحتها الهادئة وأيقن بعد أول كلمة تبادلاها أنها شديدة التهذيب ، راقية الحس ، وأصبح منتهى أمله ، بعد ثان أو ثالث لقاء لهما ، أن تصبح زوجته ..

ولقد تردد طويلا ، قبل أن يفصح لها عن أمله

هذا ، وكان يتمنى لو أنها وافقت على الفور ، ولكنه كان يعلم أنه يطالبها بتضحية كبيرة ، وأن هـذا ليس من حقه ..

ما لم تكن تبادله الحب ..

لقد أنبأه قلبه أنها تحبه ، ولكنه رفض الاستماع إليه ..

رفض أن يبنى مستقبله على مشاعره وحدها ..

ولهذا منحها فرصة التفكير ..

لهذا منحها ذلك الموعد ..

وانتفض قلبه ، واختلج بين ضلوعه ، حينما أعلنت الساعة تمام الثامنة ..

وجفّ لعابه فى شدة ، مع كل دقيقة أعقبت ذلك ، وتضاعفّ توتره ، وتصاعدت لهفته ، وهو ينقل عينيه بين الوجوه ، بحثاً عنها ..

وأخذ قلبه يخفق .. ويخفق .. ويخفق ..

وعقارب الساعة تدور .. وتدور .. وتدور .. حتى بلغت التاسعة ..

ولم تأت (صفية) ..

وخفق قلب (حسن) فى قوة ، ثم بكى فى يأس وحزن ومرارة ..

لقد رفضته (صفية) ..

لقد رفضت موعده ..

رفضت حبه ..

رفضت زواجها منه ..

وتطلع إلى الوجـوه بنظرة أخـيرة ، ثم أطرق بوجهه ، واتجه فى يأس وتثاقل إلى محطة الحافلات ، وقد خيّـل إليه أن قلبه قد توقف عن النبض ..

وفى هدوء ، انسالت من عينيه دمعة ..

دمعة حزينة يائسة ..

ولم يدر كم ظل واقفاً ، شارداً ، واجماً ، دون أن يصعـد إلى أية حافلة من تلك الحافـلات التى انطلقت أمام عينيه ، ولكنه وجد قلبه يعود للانتفاض والخفقان فى قوة ، وينقل تلك الانتفاضة إلى جسده كله ، حينما وقع بصره على خبر صغير ، فى تلك الصحيفة ، التى يمسك بها الرجل الذى يقف أمامه ..

خبر يقول : « حريق يدمر ملجأ البنات بمصر الجديدة » ..

وامتلأ قلبه بقدر هائل من الهلع والذعر ، ووجد نفسه يغمغم فى لوعة وجزع :

– يا إلهى !! .. (صفية) .. (صفية) ..

لم يدر بعدها كيف انطلق ، وماذا فعل ؟! ..

لم يدر إلا حينما وجد نفسه يقف أمام الملجأ المحترق ويتطلع إليه فى ذعر ولوعة وجزع ..

وإلى جواره كانت مديرة الملجأ تهتف فى ألم وخوف :

– لا أحد يدرى كيف نشب الحريق .. لقد اشتعلت النيران فجأة فى العاشرة والنصف ، والتهمت الطابقين العلويين قبل أن يصل رجال الإطفاء .. لقد كان ذلك مروعاً .. مروعاً .

تشبث (حسن) بذراعها ، وهتف بكل ما يعتمل فى أعماقه من مرارة ولوعة :

– و (صفية) ؟! .. ماذا أصاب (صفية) ؟

تطلعت إليه المديرة فى ذعر ، وهتفت :

– (صفية) من ؟!

صاح فى لوعة :

– (صفية محمود) .. التى كانت تبحث عن عمل ..

انتزعت المديرة ذراعها من قبضته ، وهى تهتف فى توتر :

– لست أدرى .. وحدهم فى المستشفى يعلمون ..

ولم تكد تخبره باسم المستشفى حتى هرع إليها ، وهاله ذلك التوتر الذى يسودها ، وذلك العدد الهائل من رجال الشرطة ، الذين يملئون طرقاتها ، ورأى إحدى المشرفات تتحدث فى توتر مع أحد ضباط الشرطة ، فاندفع إليهما ، وسمعها تقول فى انفعال :

– هناك فتاة هاربة أيضاً .. لقد استغلت حدوث الحريق ، وفرت من الملجأ ، ولكننا نعرفها ، فلقد منحناها تصريح خروج أمس ، ولكنها لم تذهب إلى عملها ، ونحن نتهمها بإشعال الحريق لتغطية فرارها .

هبط قلبه بين قدميه ، وهو يسألها فى ذعر :

– أهى (صفية) ؟!

تطلعت إليه فى دهشة واستنكار وأجابته فى حدة :

ـ بل (نجلاء) .. (نجلاء محفوظ) .

سألها فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ وماذا عن (صفية) ؟ .. هل أصيبت ؟

حدجته المشرفة بنظرة حائرة ، ثم سألته فى صوت منخفض مرتبك :

ـ هل تقصد (صفية محمود عبد الفضيل) ؟

ارتجف قلبه، وزاغت عيناه، وهو يقول فى ارتياع :

ـ نعم .. نعم .. إننى أقصدها .. ماذا أصابها ؟

خفضت المشرفة عينيها، وهى تقول فى حزن وأسف :

ـ البقية فى حياتك .. لقد احترقت مع زميلتيها تماماً و ..

ولم تتم عبارتها .. ولم يستمع (حسن) إلى ما يدور حوله بعد ذلك ..

لقد استحال إلى جثة ..

جثة هامدة لقلب مازال ينبض بنبض الضياع ..

* * *

٦ ـ الضياع ..

ظلام دامس ، ذلك الذى أحاط بعقل (صفية) .

ظلام بدا كبئر عميقة ، لا قرار لها ..

وفى ظلامها رأت (حسن) ..

رأته يمد يده إليها ، وكأنما يدعوها لترتمى بين ذراعيه ، ولكن ملامحه كانت تحمل حزناً هائلا ..

حزناً لم تره على وجهه أبداً ..

حزناً عميقاً .. عميقاً كبئرها .. لا قرار له ..

وحاولت أن تمد يدها إليه ، ولكنها شعرت بها ثقيلة ، عاجزة عن التقاط أصابعه الممتدة إليها ..

ثم أخذ (حسن) يبتعد ..

ما زال يمد لها يده ، ولكنه يبتعد ، ويتضاءل ، ويتلاشى وسط الظلام الدامس ..

وأرادت أن تصرخ ، وتدعوه للاقتراب منها ، ولكن صوتها احتبس فى حلقها ، ولم يتجاوز عقلها ..

وجاهدت لتصرخ ، قبل أن يبتلعه الظلام تماماً ..

جاهدت .. وجاهدت .. وجاهدت ..

وفجأة استجابت لها أحبالها الصوتية ، وصرخت باسمه ، وبدا لها وكأن جدران العالم كله تردد صـــدى صرختها ..

واختفى الظلام فجأة ، وغمر الضوء عينيها ، فعادت تهتف فى لوعة :

— (حسن) .. (حسن) ..

وفى هذه المرة كانت صرختها مسموعة ..

هى سمعتها فى وضوح ..

سمعتها تختلط بأصوات أخرى متداخلة ، ميزت وسطها صوتاً يقول فى إشفاق :

— اهدئى .. لقد انتهى كل شىء بسلام .. اهدئى.

تطلعت حولهـا فى ذعـر ، وأيقنت ، منـذ اللحظة الأولى ، أنها ترقد فى حجرة مستشفى ، وأمامها طبيب وممرضة ، وضابط شرطة ، فهتفت فى جزع :

— أين أنا ؟ .. ماذا حدث ؟

أجابها الضابط فى هدوء :

— لقد صدمتك سيارة .

غمغمت فى حيرة :

— سيارة ؟! ..

ثم تذكرت فجأة كل شىء ، فاستدركت فى انفعال :

— نعم .. نعم .. كنت أنا المخطئة .. لقد عبرت الطريق فجأة .

سألها الضابط فى اهتمام :

— هل تقرّين بذلك فى محضر رسمى ؟

هتفت :

— بالطبع ..

بدأ الضابط يعد أوراقه ، فى حين التفتت هى إلى الطبيب ، وسألته فى ذعر :

— كم الساعة الآن ؟

ابتسم وهو يجيبها فى عطف :

— الحادية عشرة صباحاً .. لقد قضيت ما يقرب من خمس ساعات فى ..

قاطعته فى جزع :

– الحادية عشرة ؟! .

ثم دفعت جسدها عن الفراش ، وهى تستطرد فى لوعة :

– والموعد .. موعدى مع (حسن) .. لابد لى من أن ..

بترت عبارتها لتتأوّه فى ألم ، وشعرت أن ساقها اليسرى بالغة الثقل ، وأعادها الطبيب إلى فراشها ، وهو يقول فى إشفاق :

– لقد كسرت ساقك فى الحادث ، وهى ترقد الآن فى غلاف من الجبس .

تطلعت إلى ساقها المكسورة فى هلع ، ثم هتفت :

– و (حسن) ؟! .. إنه ينتظرنى .

ربّت الطبيب على كتفها فى هدوء ، وابتسم وهو يقول :

– سنبلغه ما تريدين .. فقط أخبرينا باسمه وعنوانه وسنبلغه بما حدث لك .

غمغمت فى ذعر :

– عنوانه ؟! ..

إنها لا تعرف عنوان (حسن) ..

لم تسأله عنه أبداً ..

منعها الحياء من أن تفعل ..

واستطردت فى ألم :

– إننى لا أعرف عنوانه .

عقد الطبيب حاجبيه ، وهو يسألها فى حيرة :

– ولا حتى عنوان عمله .

بكت وهى تغمغم فى يأس :

– ولا هذا ، فهو لم يجد عملا بعد .

تبادل الطبيب والممرضة نظرة حائرة مشفقة ، ولاذ كلاهما بالصمت ، فى حين قدّم إليها الضابط ورقة ، وهو يقول :

– إننا نحتاج إلى توقيعك .. إن أقوالك ستبرئ قائد السيارة التى صدمتك .

وقّعت الورقة فى شرود ، وأعادتها إليه ، وشعرت بالثلاثة يغادرون حجرتها ، فتركت دموعها تنسال على

خديها ، وهى تتحسس ساقها فى مرارة وحزن ..

يا لألاعيب القدر ..

لقد أبى عليها أن تحقق حلمها ..

لم يشأ لها أن تصل فى موعدها ..

لقد هزمها ..

هزم حبها ..

هزم سعادتها ..

هزم قلبها ..

لماذا يصرّ على أن يسومها العذاب ألواناً ؟ ..

لماذا لا تجرع إلا من كأس آلامه ؟ ..

سيتصوَّر (حسن) – بلاشك – أنها قد رفضت موعده ، ورفضت حبه ..

لقد ظلمها القدر ، وانتزع منها – بلا رحمة – الرجل الوحيد الذى أحبته فى عمرها كله ، وتركها للضياع ..

الضياع وحده ..

ويا له من مصير ! !

أجهشت فجأة ببكاء حار ، وانسالت دموعها من عينيها أنهاراً ..

لم تدر كم ظلت تبكى ، ولكن وجهها كانت تغمره الدموع ، عندما سمعت طرقاً هادئاً على باب حجرتها ، فأسرعت تجفف دموعها ، وهى تقول فى صوت مختنق :

– ادخل .

رأت الباب يفتح فى هدوء ، ويدلف منه إلى الداخل شاب وسيم الطلعة ، أبيض البشرة ، أزرق العينين ، حليق ، ناعم الشعر أسوده ، تطلَّع إليها بنظرة تجمع ما بين الخجل والأسف والاعتذار ، وهو يغمغم :

– هل تسمحين لى بالدخول ؟

سألته فى حيرة :

– من أنت ؟

أسرع يجيب :

– (حسام توفيق) .

وخفت صوته ، وهو يستطرد فى خجل :

– صاحب السيارة التى صدمتك .

تطلعت إليه بنظرة خالية من أية انفعالات ، ثم أشاحت بوجهها ، وهى تغمغم فى مرارة :

– أهو أنت ؟

ارتبك الشاب ، وهو يقول فى خجل :

– أعترف أننى كنت أقود سيارتى بسرعة مرتفعة نسبيًّا ، ولكنك عبرت الطريق على نحو مفاجئ ، ولم يمكنى أن ..

قاطعته فى حزن :

– لا عليك .. إنه قدرى .

وقف لحظة مرتبكاً ، ثم جلس على طرف فراشها وهو يقول :

– شكراً لشهادتك ، فلولاها لألقونى فى السجن.

غمغمت فى حزن :

– إننى لم أذكر سوى الحقيقة .

هتف فى إخلاص :

– كان يمكنك استغلال الموقف ، والحصول على تعويض ضخم .

هزَّت رأسها نفياً ، وهى تقول :

– إننى أكره ذلك .

أسرته رقتها ، وهى تنطق عبارتها الأخيرة ، فتطلع إلى وجهها فى افتتان ، ثم لم يلبث أن تنحنح ، وعاوده ارتباكه ، وهو يقول :

– سأتحمل كل مصاريف العلاج بالطبع .

سالت دموعها ، وهى تغمغم فى مرارة :

– أظن أننى مضطرة لقبول هذا العرض ، فأنا لا أملك مالاً ولا عملا .

أحزنته عبارتها ، والمرارة التى نطقتها بها ، فتمتم فى إشفاق :

– أتحبين أن تستكملى علاجك هنا ، أم تفضلين أن أنقلك إلى منزلك ؟

واستدرك فى عجلة :

– وسأتحمل مصاريف العلاج فى الحالتين بالطبع.

تذكرت فرارها من الملجأ واحتراقه ، فغمغمت :

— بل هنا ، فليس هناك منزل أذهب إليه .

اتسعت عيناه فى ذعر ، وهو يتمتم فى إشفاق :

— يا إلهى ! !

أجابته فى حِدَّة :

— لا تجعل هذا يدهشك ، أو يثير عطفك ، فهكذا أنا .. لا نقود ، ولا أسرة ، ولا مأوى .

تطلع إليها فى تعاطف ، وأدهشه كيف أن مخلوقة بالغة الرقة مثلها تحيا هكذا ، ولاحظت هى تطلعه إليها ، فأشاحت بوجهها ، وهى تغمغم فى مرارة :

— اطمئن .. إننى لا أخبرك بهذا لأحصل منك على المزيد .

غمغم فى حنان :

— ولكنك تستحقينه .

ثم نهض ، وهو يقول فى حزم :

— منذ هذه اللحظة ستتبدل كل هذه الأمور .. ستحصلين على عمل ، ومنزل ، وأسرة ، ومرتب جيد .

سألته فى دهشة :

— ماذا تعنى ؟

ابتسم ، وهو يقول :

— نسيت أن أخبرك أن اسمى الكامل هو (حسام توفيق الصاوى) ، وأن والدى هو صاحب واحدة من أكبر شركات المقاولات فى مصر .

سألته فى حِدَّة :

— وماذا يعنى هذا أيضاً ؟

زادته ابتسامته وسامة ، وهو يجيب فى حنان :

— ألم أخبرك من قبل .. إنه يعنى ببساطة أن متاعبك قد انتهت .. ستحصلين على المسكن والطعام ، والأسرة أيضاً .. إنها نهاية متاعبك .

تطلعت إليه فى حيْرَة وشرود ، وصرخ قلبها فى لوْعة ..

— بل هى نهاية قلبى .. نهاية أول موعد حب فى حياتى .. وآخر موعد .. إنها الضياع .

* * *

٧ – نهر الحياة ..

كان من العسير على أصدقاء (حسن) أن يتعرَّفوه بعد مضى أسبوع واحد على هذه الأحداث ، فلقد قضى ذلك الأسبوع فى حجرته لا يفارقها ، ولا يتناول إلا النذر اليسير من الطعام ، يسدّ رمقه ، ويُبْقى على حياته ، وترك لحيته تنمو ، وترك شعر رأسه بلا تصفيف ، حتى ازداد نحولا وضعفاً ، وشحوباً ، وجحظت عيناه على نحو أثار هلع صديقه (ناصر) ، حينما أتى لزيارته ، فهتف به فى جزع :

– يا إلهى !! .. ماذا تفعل بنفسك يا (حسن) .. هل تنوى الانتحار ؟

دفن (حسن) وجهه بين كفَّيه ، وهو يقول فى أسى :

– لولا خشيتى من الله (عزّ وجلّ) لفعلت يا (ناصر) ، على أمل أن ألتقى بها فى الحياة الآخرة ، بعد أن فقدتها فى الدنيا .

صمت (ناصر) لحظة ، وهو يتأمَّله فى إشفاق ، ثم غمغم :

– أكنت تحبها إلى هذا الحد ؟

تمتم (حسن) فى حزن ومرارة :

– لن يمكنك أن تتصور المدى الذى بلغه حبها فى قلبى يا (ناصر) .

أجابه (ناصر) :

– ولكن نهر الحياة لم يتوقف يا (حسن) .

– لقد توقف بالنسبة إلىَّ .

– إنك تخدع نفسك .. أنت الذى توقفت ، أما هو فما زال يجرى فى مجراه الطبيعى .

– ألا تفهم يا (ناصر) ؟ .. لقد ماتت .

– ولكنك حىّ .

– حىّ أقرب إلى الموتى .

– ولكن حىّ .

– وما قيمة حياتى بدونها ؟

— لحياتنا قيمة رائعة يا (حسن) ، وإلا فما كان لخلقنا جدوى .

— ماذا تريد منى بالضبط ؟

— أريد منك أن تخرج من قوقعة الحزن ، حتى لا يجرفك نهر الحياة فى طريقه .

— دعه يفعل .

— فى هذه الحالة عليك أن تسبح فيه ، وإلا فسيغرقك بلا رحمة .

— إننى أتمنى الموت .

— ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .

— ماذا تعنى ؟

— أعنى أنه ما دمت ترفض الانتحار ، فليس أمامك سوى أن تحيا ، حتى يختار الله (سبحانه وتعالى) موعد موتك ، وإلى ذلك الحين عليك أن تتصرف كالأحياء .

— وكيف يتصرف الأحياء فى نظرك ؟

— يكافحون ويعملون ، ويبحثون عن التقدم والنجاح .

— لقد فشلت فى العثور على عمل عادى .

— الأمور تختلف الآن .

— وما وجه اختلافها ؟

ابتسم (ناصر) عند هذه النقطة ، وأجاب فى هدوء :

— لقد وجدت عملاً لك .

حدّق (حسن) فى وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :

— ماذا تقول ؟

أجابه (ناصر) فى هدوء :

— أقول إننى قد وجدت لك عملا .

ثم استطرد فى حماس :

— والآن هيّا .. احلق لحيتك ، واستحم ، وصفّف شعرك ، وارتد أفضل ما لديك ، فسنذهب معاً إلى عملك الجديد .

لو أن (ناصر) أخبره بذلك منذ أسبوع واحد ، قبل حادث (صفية) ، لاختلج قلبه فرحاً ، ولقام يعانقه ، ويبثه شكره وامتنانه ، أما فى هذه اللحظة فقد استقبل الخبر فى جمود ، وقال فى هدوء :

— عملى الجديد ؟! .. أى عمل هذا ؟

هتف (ناصر) فى حماس :

— إنها شركة سياحية جديدة ، يمتلكها ابن عم والدى ، وهو يحتاج إلى موظف لحساباتها ، ولقد رشحتك له ، وقبل على الفور .

ظلَّت مشاعر (حسن) جامدة بعض الوقت ، ثم غمغم فى حيرة :

— عمل جديد ؟!

هتف (ناصر) وهو يناوله ماكينة الحلاقة :

— نعم .. عمل جديد .. والآن هيَّا .. هيَّا نلحق بنهر الحياة ..

* * *

لم يكن (حسام الصاوى) يشبه والده ، إلا فى شعره الأسود الناعم فقط ، الذى أضيف إليه شيب وقور فى فودى الوالد ، الذى استقبل (صفية) ، فى الحجرة التى أعدوها لها فى فيلته ، بابتسامة صافية واسعة ، تؤكد طيبة قلبه ، وصفاء نفسه ، وعاون ابنه

على نقلها إلى سريرها ، وهو يقول فى مرح :

— لو أن كل ضحايا سيارتك سيكونون بهذا الجمال ، فلن أتردَّد فى تحويل الفيلا إلى مستشفى خاص لك .

ضحك (حسام) فى مرح ، فى حين غمغمت (صفية) فى خجل :

— لم أكن أحب أن أثقل عليكم فى فيلتكم ، ولكن ولدك هو الذى أصرَّ على ..

قاطعها (توفيق الصاوى) فى مرح :

— لو لم يفعل لتبرأت منه .

ابتسمت فى حياء ، وهى تغمغم :

— أعدكم بأن أنصرف فور رفع الجبس عن ساقى .

ضحك الوالد وهو يقول :

— فى هذه الحالة سأضطر لكسر الأخرى لأضمن بقاءك هنا لوقت أطول .

سالت من عينيها دمعة ، وهى تقول :

— إنك شديد الكرم والطيبة يا سيِّد (توفيق) .

ربتت الرجل على رأسها فى حنان ، وهو يقول فى مرح يختلط بنبرة العطف فى كلماته :

– لا تطلق هذه الشائعات ، وإلا فقدت سيطرتى على موظفى الشركة .

ثم جلس على المقعد المجاور لها ، وهو يستطرد فى اهتمام :

– وبالمناسبة ، ما مؤهلاتك بالضبط ؟

أجابته فى خجل :

– دبلوم التجارة المتوسطة .

هتف فى حماس :

– يا لحسن حظى ! ! لقد كنت أبحث عن فتاة مثلك لقسم الحسابات .

ثم مال نحوها مستطرداً :

– هل تكفيك مائة جنيه كمرتب شهرى ؟

سالت دموعها فى غزارة ، وهى تتطلع إليه ..

لم تصدق أبداً أنه هناك بشر ، يمتلكون كل هذا الحنان ، فى ذلك الزمن المادى العسير ..

وأطرقت برأسها ، وهى تقول :

– شكراً لكرمك يا سيد (توفيق) .. شكراً لكل ما تفعله من أجلى .

تبادل (حسام) ووالده نظرة جانبية ، ثم قال (حسام) فى هدوء :

– إن أجرك سيكون مائتى جنيه فى الواقع ، ولكننا سنمنحك شقة صغيرة من حجرتين ، بالقرب من مقر الشركة ، وستكون المائة جنيه الأخرى هى القسط الشهرى لثمنها .

ابتسم الوالد ، وهو يقول فى حنان :

– هو ما تقول يا (حسام) .. لست أدرى كيف فاتنى أن أخبرها بذلك ؟!

غمغمت (صفية) ودموعها تغرق وجهها :

إنكم بالغو الكرم والطيبة .. لن أنسى جميلكم هذا أبداً .

جاءها صوت حنون يقول :

– أى جميل يا بنيتى ؟

كانت والدة (حسام) ، وكانت نسخة طبق الأصل من ابنها ، أو أنه هو نسخة طبق الأصل منها ،

فيما عدا أن الوالدة كان شعرها كستنائيًّا جميلا ، وكانت تمتلك فيضاً من الطيبة والحنان ، شعرت بهما (صفية) تماماً حينما احتضنتها الوالدة ، وقبّلت جبينها ، وهى تقول :

– مرحباً بك بين أسرتك يا بنيتى .

دفنت (صفية) وجهها فى ذلك الصدر الحنون ، لتستمتع بدفئه ، فى حين غمغم (حسام) فى تعاطف :

– ألم أقل لك ؟ .. لقد انتهت متاعبك .

وفى تلك اللحظة بالذات ، بعد أن منحها القدر أضعاف ما كانت تتمنى وتأمل ، ملأت ذهنها وقلبها صورة واحدة ..

صورة (حسن) ، بوجهه الهادئ ، وابتسامته المشرقة ..

ومن أعماق قلبها .. أجهشت (صفية) ببكاء حار .

* * *

رفع (شوقى صالح) ، صاحب الشركة السياحية الصغيرة ، عينيه فى هدوء ؛ ليتأمل وجه (حسن) ، ثم سأله فى بساطة :

– هل يمكنك أن تتولّى حسابات الشركة كلها وحدك ؟

أجابه (حسن) فى هدوء :

– نعم .. يمكننى ذلك .

ابتسم (شوقى) ، وهو يقول :

– لن يحتاج منك هذا إلى مجهود كبير ، فالشركة ما زالت صغيرة ومحدودة كما ترى ، ولكنها ستكبر وتتوسع ، مع ازدياد نشاطاتها بإذن الله .. ولن يمكننى أن أنقدك أكثر من خمسين جنيه شهريًّا ، فى الوقت الحالى ، وأعدك بأن ..

قاطعه (حسن) فى هدوء :

– إننى أقبل .

عاد (شوقى) يبتسم ، وهو يقول :

– أنت شاب عملى ، ولو أن قدرتى ، فى الحكم على الأشخاص ، لم تفسد بعْد ، فأنا أتوقع لك نجاحاً مبهراً .

غمغم (حسن) فى حزن :

– بدون (صفية) للأسف .

عقد (شوقى) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

– من ؟ !

ابتسم (حسن) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم فى حزن :

– لا عليك يا سيد (شوقى) .. إنه خاطر خارجى.

هز (شوقى) كتفيه فى لا مبالاة ، ثم قال فى هدوء :

– والآن يمكنك أن تتسلم عملك على الفور .. هل ترغب فى ذلك ؟

هتف (ناصر) ، الذى ظل صامتاً حتى تلك اللحظة :

– بالطبع ..

ثم ربّت على كتف (حسن) فى حماس ، مستطرداً :

– هيّا يا صديقى .. هيّا انغمس فى نهر الحياة ، وانس أحزانك .

تنهد (حسن) ، وهو يقول :

– لن أنسى (صفية) يا (ناصر) .. لن أنساها أبداً ، حتى ولو غرقت فى ذلك النهر .. نهر الحياة ..

* * *

٨ – وتمر الأيام ..

« كيف حال العمل ؟ .. » .

انتفضت (صفية) فى مقعدها ، حينما باغتها ذلك الصوت ، فى أثناء انهماكها فى مراجعة بعض الحسابات الهامة ، والتفتت إلى مصدره فى حركة حادة ، ثم تنهدت فى ارتياح ، وابتسمت فى هدوء ، وهى تقول :

– أستاذ (حسام) ؟! .. لقد أفزعتنى .

ابتسم وهو يغمغم :

– إننى لم أقصد ذلك .

ثم جذب مقعداً ؛ ليجلس إلى جوارها ، وهو يستطرد :

– والآن كيف حال العمل ؟

أجابته فى هدوء :

– على خير ما يرام .. لقد كنت أراجع حسابات تعاملات الشركة مع شركة المقا ...

قاطعها بلهجة حانية :

– وكيف حالك أنت ؟

تنهّدت قبل أن تقول بابتسامة رقيقة :

– فى خير حال .. إننى لم أكن أحلم يوماً بما وصلت إليه .. شقة أنيقة ، ووظيفة محترمة ، وشعور بالأمان .. لقد انتشلنى والدك من الضياع يا أستاذ (حسام) .

اقترب منها ، وهو يسألها فى تعاطف :

– لِمَ لم تفارق نظرة الحزن عينيك إذن ؟

تنهدت ، وملأ الحزن ملامحها كلها ، وهى تقول :

– إنها قصة قديمة ، انتهت منذ ستة أشهر .

غمغم فى حزن لم تنتبه إليه :

– حب فاشل .

غمغمت فى مرارة :

– بل حب ضائع .

اعتدل وهو يتطلّع إلى وجهها فى أسف ، ثم لم يلبث أن غمغم فى ألم :

– ألا يمكنك نسيانه أبداً ؟

ترقرقت الدموع فى عينيها ، وهى تقول :

– لقد حاولت ، وفشلت .

أطرق برأسه مغمغماً :

– إننى أحسده .

التفتت إليه تسأله فى دهشة :

– ماذا تعنى ؟

رسم على شفتيه ابتسامة خابية ، وهو يقول :

– من النادر أن يحظى المرء بفتاة رائعة مثلك ، تكنّ له كل هذا الحب .

لاحظ ارتباكها ، وتورّد وجهها خجلا ، فتنهّد ، ونهض مستطرداً :

– عودى إلى عملك يا (صفية) .. لقد أردت أن أطمئن عليك فحسب .

غمغمت وهى تتابعه ببصرها ، فى أثناء انصرافه :

– شكراً لك .

وحاولت أن تعود إلى عملها ، إلا أن صورة (حسن) ملأت كيانها ، وتبدّت لها على أوراق الحسابات ، فشردت ببصرها ، وهى تغمغم فى حزن :

– لن أنساه أبداً .. لن أنسى أول إنسان أحببته ..
ترى ماذا يفعل الآن ؟ .. وأين هو ؟ ..
أين أنت يا (حسن) ؟ ..

* * *

ابتسم (شوق صالح) ، وهو يستقبل (حسن) فى مكتبه الصغير ، وسأله فى مرح :

– كيف حال العمل يا (حسن) ؟

جلس (حسن) على المقعد المقابل للمكتب ، وهو يقول فى جدية :

– إن عمل الشركة يدار على نحو خاطئ .

عقد (شوق) حاجبيه ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى صرامة :

– هل لى أن أفهم ما الذى تعنيه هذه العبارة بحق السماء ؟

وضع (حسن) أمامه ملفًّا ضخماً ، متخماً بالأوراق ، وهو يقول بنفس لهجته الجادة :

– لقد لاحظت أن الأرباح التى نحققها هنا ،

تجعلنا فى ذيل قائمة الشركات السياحية ، فى الشرق الأوسط كله ، فقضيت الشهرين الماضيين فى دراسة أساليب العمل ، فى كل الشركات السياحية فى القاهرة ، وكشفت – بعد هذه الدراسة – لماذا نحن فى المؤخرة ؟

بدا الاهتمام على وجه (شوق) ، فحلّ ساعديه ، وأرخاهما على سطح مكتبه ، وشبّك أصابع كفيه ، وهو يسأله :

– لماذا ؟!

أجابه (حسن) ، وهو يقلب أوراق الملف فى اهتمام :

– إننا نعتمد على سفر الطلاب فى الإجازات الصيفية ، وسفر العمال المصريين إلى الدول العربية ، وهذا لا يكفى .

غمغم (شوق) :

– وماذا يمكننا أن نفعل ، بالإضافة إلى ذلك ؟

أجابه (حسن) فى حماس :

– الكثير .

ثم اعتدل ليستطرد فى اهتمام بالغ :

– هناك الرحلات السياحية للأفراد ، والهيئات ، والشركات ، ورحلات الحج والعمرة ، ورحلات السياحة الدراسية ، والتعليمية ، وغيرها .. إننا نستطيع أن نضاعف أرباحنا عشرات المرّات ببعض الجهد والعمل الإضافى ، والدعاية الجيدة .

غمغم (شوقى) فى أسف :

– ولكننا لا نملك ميزانية للدعاية .

هتف (حسن) :

– ولكننا نمتلك الرغبة والإرادة ، ويمكننا أن نبدأ بنقل دعاياتنا إلى العملاء مباشرة ، بالقول أو المشاهدة .. ويمكننا أن نبدأ بالهيئات والشركات .. سنلتقى برؤساء مجالس الإدارات ، ونعرض برنامجنا للرحلات السياحية ، ورحلات الحج والعمرة ، وسنبدأ بأقل أسعار ممكنة ، وأفضل خدمات يمكن تقديمها ، وليكن شعارنا هو الأمانة والنزاهة ، فلا نعد أبداً بما لا يمكننا تحقيقه ، ولنبذل أقصى جهدنا لتقديم

أفضل مما وعدنا به ، وثق أننا سنصبح أكبر وأقوى ، وأكثر شركات السياحة شهرة فى الشرق الأوسط كله .

غمغم (شوقى) فى انبهار ، وكأنه يحلم :

– الأمانة والنزاهة .

ثم هتف فى حماس :

– رائع .. ابدأ التنفيذ على الفور .

قال (حسن) فى جدّية :

– أحتاج إلى توقيعك بالموافقة على خطة العمل أولا ..

لوّح (شوقى) بذراعيه ، وهو يقول فى حماس :

– لا توقيعات ، ولا تعقيدات .. فلتعتبر نفسك صاحب الشركة ، ولتتصرف بالنحو الذى تراه ملائماً .. إننى أمنحك ثقتى كاملة .

ثم مال نحوه ، مستطرداً فى حزم :

– وعشرة فى المائة من الأرباح الجديدة ..

أجابه (حسن) فى هدوء وجدية :

– لم يحن الوقت بعد لمناقشة نسب الربح يا سيد

(شوق) .. دعنا ننتهى من عمليـة البناء أولا .

تألقت عينا (شوق) فى إعجاب وانبهار ، وغمغم فى خفوت :

– بلا شك يا ولدى .. بلا شك .

نهض (حسن) ، والتقط أوراقه لينصرف ، ولكن (شوق) استوقفه ، قائلا فى حنان أبوى :

– قل لى يا (حسن) .. ألا تبتسم أبداً ؟

دوَّى السؤال فى رأس (حسن) ، وقلبه ، وأعماقه ..

دوَّى وتردد كالصدى فى كل خلية من خلاياه ..

ومن أعماق كيانه وذاكرته ، انبعث سؤال آخر ، تداخلت كلماته وحروفه مع كلمات وحروف هـــذا السؤال ..

سؤال سمعه منذ أكثر من ستة أشهر ..

كيف يمكنك المحافظة على ابتسامتك ، وسط كل هذا العذاب ؟ ..

لأنك إلى جوارى يا (صفية) ..

وتكونت فى ذهنه صورة لوجهها الرقيق المليح ..

وبكى قلبـــه ..

بكى بدموع من دم ، لم تجد طريقها إلى عينيه ، فظلَّتا جافتين ، جامدتين ، وهو يتطلَّع إلى (شوق) فى وجوم وشرود ..

وشعر (شوق) بالخجل ، وهو يغمغم :

– هل ضايقك سؤالى يا ولدى ؟

هزَّ (حسن) رأسه نفياً فى بطء ، وقال فى صوت يخلو من نبرات الحياة :

– لا يا سيد (شوق) ، ولكنه أعاد إلى ذهنى ذكرى ، كنت أتمنى أن أنساها ؟

أطرق (شوق) برأسه ، وهو يغمغم :

– يؤسفنى أن أنعشتها يا ولدى ..

تنهَّد (حسن) ، وهو يقول :

– لا عليك يا سيد (شوق) لا أظن أننى كنت سأنساها ، ما دمت حيًّا .

سأله (شوق) فى أسى :

– أهى فتاة أحببتها ؟

أومأ (حسن) برأسه إيجاباً، دون أن ينجح فى التفوه بحرف واحد ، فعاد (شوقى) يسأله فى تعاطف :

– هل افترقتما ؟

غمغم (حسن) فى صوت حزين :

– على الرغم منّا .

سأله (شوقى) فى إشفاق :

– هل تزوجتْ ؟

ارتجفت شفتا (حسن) ، واعتصر حزن هائل قلبه ، وعجز عن النطق لوهلة ، وحينما فعلت كانت لهجته ونبراته تقطر بدموع الألم والحزن والمرارة ، وهو يغمغم :

– لقد ماتت .

ارتجف جسد (شوقى) ، وامتلأت عيناه بالحزن والإشفاق ، وأراد أن يواسى (حسن) فى مأساته ، إلا أنه لم يزد على أن غمغم فى رهبة :

– يا إلهى !!

وخيِّل إليه أن ذلك الصمت ، الذى ران على

حجرته بعد غمغمته ، قد تحول إلى ثقل هائل ، يجثم على صدره ، حتى أنه جاهد ليغمغم فى خفوت :

– حاول أن تنسى يا ولدى .

مضت لحظة صمت أخرى قبل أن يغمغم (حسن) :

– هذا ما أحاول أن أفعله يا سيد (شوقى) .. ما أحاول جاهداً أن أفعله .

ولكنه كان يعلم أنه لن ينجح ..

لن ينجح أبداً ..

* * *



٩ ـ الحيرة ..

كانت ليلة اكتملت فيها استدارة القمر ، فبدا كقرص من الفضة ، وسط سماء صافية ، تلألأت فيها النجوم كمصابيح من اللؤلؤ والماس ، تلك التى جلس فيها (حسام) فى شرفة حجرته ، ساهماً ، شارداً ، يتطلع إلى القمر ، ويحصى النجوم ..

كان القمر يبدو له كوجه الفتاة التى تملأ قلبه وخياله ، والنجوم تحيط بها فى بهاء وروعة ، لترسم حولها هالة الطهارة والنضارة والرقة والجمال ..

وكان (حسام) عاشقاً ..

عاشق غاب فى أحلام حبه ، وغاص فيها حتى أطراف شعر رأسه ..

عاشق تتغنى جوانحه بالحب ، وتسجد خلاياه للعشق ..

كان عاشقاً من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ..

ولم يشعر (حسام) فى مجلسه بدخول أمه إلى حجرته ، ولا باقترابها منه على أطراف أصابعها ..

لم يشعر بها ، إلا حينما وضعت كفها على كتفه فى رفق وحنان ، فالتفت إليها فى هدوء ، وحاول أن يبتسم ، إلا أن ابتسامته بدت أقرب إلى البكاء ، مما حدا بوالدته إلى أن تسأله فى إشفاق :

ـ أما زلت مستيقظاً ؟! .. إنها الثانية صباحاً .

عاد يتطلّع إلى القمر والنجوم ، وهو يقول :

ـ إنها ليست أوّل ليلة .

سألته فى حنان :

ـ ماذا بك ؟

أجابها بصوت خافت ، ونبرات دامعة :

ـ لا شىء يا أماه .. إنما أرقت فحسب .

غلّفهما الصمت لحظة طويلة ، ثم غمغمت الأم فى حنان :

ـ أنت عاشق يا (حسام) .

صمت لحظة ، وهو يتطلع إلى القمر ، ثم غمغم فى حزن :

ـ أجل يا أماه .

تأملته الأم فى عطف وحنان ، وهو شارد ساهم ، ثم غمغمت :

— إنها (صفية) .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجاباً فى صمت حزين ، فابتسمت الأم فى حنان ، وهى تقول :

— (صفية) فتاة أكثر من ممتازة ، فهى رقيقة مهذّبة ، شريفة عفيفة ، من ذلك النوع الذى يميل إلى الحياة الأسرية المستقرة ..

غمغم فى أسى :

— هل تعلمين عنها كل شىء يا أماه ؟

ربّتت على شعره فى حنان ، وهى تقول :

— نعم يا (حسام) .. لقد أخبرنى والدك ، بعد أن تسلّمت عملها فى الشركة منذ عامين ، أنها قد نشأت فى ملجأ للأيتام ، وأن أحداً لا يعرف من والداها ، وإلى أى مجتمع تنتمى .. لقد عرف ذلك من أوراقها ، وشهادة ميلادها .

شرد بتفكيره لحظات ، ثم سألها فى همس :

— وما رأيك ؟

هزّت كتفيها فى هدوء ، وهى تقول فى حنان :

— إنه أمر لا يسىء إليها يا ولدى ، ثم إنه ليس هناك ما يعيبها .

ومالت نحوه ، وهى تستطرد فى محبة :

— وستكون خير زوجة لك — بإذن الله — ولن يعترض والدك أيضاً ، فهو يحبها كما لو كانت ابنته ، من لحمه ودمه .

هالها أن ترى دمعة تسيل من عينيه ، وتنحدر على وجهه ، فسألته فى جزع :

— ماذا بك يا (حسام) ؟ .. لقد ظننت أن قولى هذا سيسعدك !!

أخفى وجهه فى ساعده ، الذى يرتكن به إلى سور الشرفة ، وهو يقول فى حزن ومرارة :

— إنها لا تشعر بى يا أماه .

هتفت أمه فى دهشة :

— كيف ؟!.. إنك شاب وسيم ، ومهندس ناجح ، وثرى ، وكل فتاة فى (مصر) تتمناك .

غمغم فى ألم :

— إلا (صفية) .

اتسعت عينا أمه فى دهشة ، وهى تحدّق فى وجهه بإشفاق ، ثم سألته فى قلق :

— هل رفضت الزواج منك ؟

هزّ رأسه نفياً فى حزن ، قبل أن يقول :

— إننى لم أفاتحها بالأمر أبداً .

هتفت الأم فى حيرة :

— كيف أمكنك أن تجزم برفضها إذن ؟

التفت إلى أمه بعينين دامعتين ، وهو يقول :

— إنها لا تشعر بى يا أماه .. صحيح أنها تعاملنى بكل مودّة واحترام وتوقير ، إلا أن قلبها ليس ملكاً لى .. إنه ملك لآخر .. ملك لحب فقدته منذ عامين .

غمغمت الأم فى دهشة :

— حب فقدته ؟!

ثم عقدت حاجبيها ، وهى تسأله فى اهتمام :

— هل لك أن تقصّ على مسامعى ما تعرفه عن ذلك ؟

هزّ رأسه نفياً ، وهو يغمغم فى حزن :

— لست أعرف شيئاً عن ذلك .

هتفت الأم فى توتر :

— أى لغز هذا ؟

أجابها فى لهجة باكية مريرة :

— صدقينى يا أماه .. لست أعرف عن حبها القديم شيئاً .. كل ما أعرفه هو أنه ما زال يحتل كيانها ، ويملأ قلبها كله ، حتى لا يدع فيه مكانًا لحب آخر .. حاولى أن تراقبيها ، وسترين هذا الحب فى عينيها وملامحها .. فى شفتيها .. فى كيانها كله .. حب يختلط بحزن عميق ، يكاد يبكيك لو سبحت فيه لثانية واحدة .

تأملته الأم فى عطف وحنان وإشفاق ، ثم غمغمت فى صوت أقرب إلى الهمس :

— هل مات حبيبها ؟

مطَّ شفتيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

– لست أدرى ، ولكن ما الذى جعلك تتصوَّرين ذلك ؟

تطلَّعت إلى القمر بدورها ، وهى تقول فى هدوء :

– موت حبيبها وحده هو الذى يجعله يبقى فى قلبها إلى الأبد ، أما لو كان قد تركها لسبب ما ، أو كانت هى التى تركته ، فلن يكون الأمر سوى ذكرى مريرة يسهل محوها .

تنهَّد وهو يقول :

– لست أجرؤ على سؤالها .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم غمغمت الأم فى حزم :

– اترك لى هذه المهمة .

التفت إليها يسألها فى لهفة :

– هل ستسألينها ؟

ابتسمت ، وربَّتت على كتفه فى حنان ، وهى تنهض قائلة :

– أنت ابنى الوحيد يا (حسام) ، وسأفعل كل ما يمكننى من أجلك .

غمغم فى امتنان :

– أماه .

ابتسمت فى وجهه بحنان ، ثم غادرت حجرته فى هدوء ..

وحينما وصلت إلى حجرتها كان (توفيق الصاوى) ينتظرها فى قلق ، ولقد سألها فى اهتمام :

– أهو عاشق كما توقعنا ؟

أجابته فى حنان :

– حتى النخاع .

زفر فى حزن ، ثم غمغم :

– (صفية) ؟!

أومأت برأسها إيجاباً ، فهتف فى تأثُّر :

– لِمَ لا يطلب منها الزواج ؟ .. أقسم لك أننى أوافق ، وسأفعل كل ما يرضيها و ..

قاطعته فى هدوء :

- ليست هذه هى المشكلة يا (توفيق) .

سألها فى حيرة :

- ما المشكلة إذن ؟

أجابته فى حنان :

- سأخبرك يا (توفيق) .. سأخبرك بالمشكلة ، وعلينا أن نبذل معاً أقصى جهدنا لحلّها، فلا ينبغى أن نترك ولدنا الوحيد يتعذّب هكذا .. سأخبرك بقصة (صفية) ..

* * *



١٠ - لم يعد لى قلب ..

التهبت أكف الحاضرين بالتصفيق ، فى حرارة وحماس ، حينما قصّ (حسن) ذلك الشريط الحريرى الأحمر ، إيذاناً بافتتاح المقر الجديد للشركة السياحية ، فى مدينة المهندسين ، والتفوا حوله يهنئونه ، ويهنئون (شوقى)، الذى ربّت على كتف (حسن) فى حرارة، وهو يهتف فى فخر :

- هو الذى يستحق كل التهنئة .. هو صاحب الفضل فى كل هذا ، بعد الله (سبحانه وتعالى) .

تطلّع الجميع إلى (حسن) فى إعجاب ، لم يخل من بعض الحسد ، فى حين ظل هو هادئاً ، وقوراً ، على حين أسرع صديقه القديم (ناصر) يصافحه فى حرارة ، وهو يقول فى سعادة :

- أرأيت يا صديقى ؟ .. أرأيت كيف أنه من الضرورى أن يواصل نهر الحياة تدفّقه ؟.. لقد كنت، منذ عامين فقط ، بائساً ، محطّماً ، متعطّلاً عن العمل ، ثم هأنتذا الآن من أنجح رجال السياحة فى (مصر) ،

وشريك فى واحدة من أكبر شركات السياحة، وثرى ..
هل تعترف الآن بصحة رأيى ؟

غمغم (حسن) فى هدوء ورزانة :

— بالطبع .

تطلَّع إليه (ناصر) فى حيْرَة، ثم سأله فى إشفاق :

— أما آن لهذه النظرة الحزينة أن تفارق عينيك يا (حسن) ؟ .. من المفروض أن تكون اليوم فى قمة السعادة .

غمغم (حسن) فى مرارة :

— السعادة ؟!

هتف (ناصر) :

— بالطبع .. ألا يكفيك كل ما حقَّقته من نجاح فى خلال العامين الماضيين ؟

شرد (حسن) ببصره بعيداً ، وهو يقول :

— لقد ودَّعت السعادة منذ عامين يا (ناصر) .. لقد دفنت قلبى فى ميدان التحرير ، ولم يعد لى قلب ..

— هراء .. لا أحد يحيا بلا قلب ، إنك تحاول إيهام نفسك بذلك فحسب .

— ربما .. ولكن عقلى يأبى أن ينساها .

— أنت وعقلك وقلبك تثيرون دهشتى فى الواقع .

— لِمَ ؟

— كيف يمكن أن يتعلق كيانك كله بفتاة عرفتها لشهر واحد ؟

— وما قيمة الزمن يا (ناصر) ؟ .. إنك قد تقضى أعواماً مع شخص ما ، دون أن تنجح حتى فى فهمه ، فى حين قد تلتقى بآخر لأول مرة ، فيلوح لك أنك تعرفه منذ مولدك .

— هذا لا ينطبق على الحب .

— بالعكس .. إن الحب كالصاعقة ، يهوى على القلب فجأة ، دون انتظار أو إنذار ، والصاعقة تنشأ وتنقضّ ، وتصيب فى ثانية واحدة ..

— هل تقصد الحب من أول نظرة ؟

– دعنا من هذه المصطلحات ، ولتطلق على هذا ما تشاء من أسماء ، ولكنه يحدث .

– هكذا فجأة ؟!

– نعم هكذا فجأة .

– وهل يبقى طوال كل هذا الوقت ؟

– نعم .

– حتى بعد موت من تحب ؟

– إن موتها يزيده تأججاً .

– إلى متى ؟

– إلى أن نلتقى فى الآخرة .

– وماذا عن الدنيا ؟

– لقد ودّعتها .

– لماذا تسعى للتفوّق والنجاح إذن ؟

– حتى أدفن فيهما أحزانى ، حتى تحين ساعتى .

– لست أفهمك .

– لأنك لم تحب بعد مثلما أحببت .

تنهّد (ناصر) ، وهو يقول فى يأس :

– حسناً ، فلننس كل هذا ، ولنحتفل بالمناسبة .

غمغم (حسن) فى هدوء :

– هذا أفضل .

اقتربت منهما فى تلك اللحظة فتاة باهرة الحسن ، رقيقة الملامح والصوت ، صافحت (حسن) فى حياء ، وهى تقول :

– ألف مبارك يا أستاذ (حسن) .

صافحها (حسن) فى هدوء ، قائلا :

– شكراً يا آنسة (هيام) ، ما كنت لأصل إلى كل هذا ، لولا كرم والدك وتفهمه .

ضحكت فى مرح رقيق ، وهى تقول :

– أبى أيضاً يقول إنه لم يكن ليحقق كل هذا ، لولا حماسك وإخلاصك ، وأنا أعتقد أن كليكما يكمل الآخر .

أجابها (حسن) فى رصانة :

– هذا من دواعى فخرى .

صمتت لحظة ، وهى تتأمله فى افتتان واضح ، ثم

أطرقت بعينيها فى حياء ، وهى تقول :

– إن أبى يدعوك للعشاء فى منزلنا الليلة .. هل يمكنك أن تأتى ؟

أجابها فى هدوء :

– بالطبع .

تهللت أساريرها ، وتخضّب وجهها بحمرة الخجل وهى تقول فى فرح :

– سأنتظرك .. أعنى أننا سننتظرك .

وأسرعت تبتعد فى خطوات خجلى متعثرة ، و (ناصر) يتابع ببصره قوامها الرشيق ، وشعرها الكستنائى الناعم ، ويسترجع فى افتتان مرأى عينيها الخضراوين الساحرتين ، وفمها المنمنم الرقيق الشفتين ، ثم غمغم :

– يا إلهى !! .. إنك تخسر الكثير بإصرارك على العيش فى ذكرى محبوبتك القديمة يا (حسن) .

غمغم (حسن) فى استخفاف :

– لم يعد لدىّ ما أخسره .

هتف (ناصر) فى استنكار :

– يبدو أنه لم يعد لك قلب بالفعل .. ألم تشعر أبداً أن (هيام) غارقة فى حبك ؟

عقد (حسن) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

– تحشّم حينما تتحدث عنها ، ولا تنس أنها ابنة الرجل الذى منحنى كل ما أنعم به الآن .

هتف (ناصر) :

– إنه لم يمنحك إلا ما تستحقه بالفعل ، فلولاك ما قفزت شركته إلى القمة .

أجابه (حسن) فى صوت يشف عن احترامه لـ (شوقى) :

– كان يمكنه ألا يفعل ، فلم أكن لأطالبه بذلك أبداً ، ولكنه رجل شريف وعادل .

غمغم (ناصر) فى تخابث :

– وذكى .

ثم أردف فى حماس :

– إنه حينما يجعلك شريكاً له يضمن عدم تركك

العمل أبداً ، ويضمن نصف ما تحصل عليه من أرباح للشركة .

قال (حسن) فى صرامة :

— اسمع يا (ناصر) .. إن الأستاذ (شوق) هو ابن عم والدك ، وأنا أقدّره وأحترمه كثيراً ، ولن أسمح لك بـ ..

قاطعه (ناصر) فى ضجر :

— حسناً .. إنها حياتك .

ثم أردف فى اهتمام :

— ولكن ماذا عن (هيام) ؟ .. إنها تحبك ، وزواجك منها لا يتعارض مع احترامك لوالدها ، بل يؤكّده .

هتف (حسن) فى استنكار :

— أىّ حب يا (ناصر) ؟ .. إنها بعد طفلة .

هتف (ناصر) فى دهشة :

— طفـلة ؟! .. طفـلة فى التاسـعة عشرة من عمرها ؟! .. هل تحاول أن تخدعنى ، أم أنك تخـدع

نفسك يا (حسن) ؟ .. هل نسيت أن حبيبتك الراحلة لم تكن قد تجاوزت العشرين من عمرها بعد ، حينما قررتما أن تتحديا كل النظم والقواعد ، وتتزوجا ؟

غمغم (حسن) فى مرارة ، وبلهجة أقرب إلى الضراعة :

— أرجوك يا (ناصر) .. كُفّ عن الحديث عن هذا الأمر .

زفر (ناصر) فى قوة ، ثم أمسك ذراعه ، وهو يقول :

— سأكفّ يا (حسن) ، ولكننى سأحدّثك مرة أخرى عن نهر الحياة ، وعن ضرورة تدفقه واستمراره ، وهذا لا يعنى العمل وحده ، بل يعنى كل مظاهر الحياة الأخرى ، والحب واحد من أهمّ هذه المظاهر ، ولا تقل لى إنه لم يعد لك قلب ، فما دمت تحيا وتتنفس ، وتتحرك ، وتعمل ، فهناك بالضرورة قلب ينبض بين ضلوعك .. صحيح أن وظيفته قد اقتصرت ، فى العامين الماضيين ، على ضخ الدم إلى شرايين الجسم وخلاياه ،

إلا أنه ما زال يحمل ذلك النبض ، الذى تبذل أقصى جهدك لكبته وإحباطه.. نبض الحب والحياة يا (حسن).. ومهما حاولت وفعلت فسيبقى هذا النبض ، وسيعود إلى الحياة .

ثم ربَّت على كتفه ، وهو يستطرد فى أسف :

– تذكر قولى هذا يا (حسن) ، فلا أحد يمكنه أن يعترض مجرى نهر الحياة .. لا أحد .

وصافحه فى هدوء ، مغمغماً :

– أراك فيما بعد .

تأمله (حسن) فى شرود وهو ينصرف ، وعادت إلى ذهنه ذكراها ..

ذكرى (صفية) ..

تذكَّر رقتها ، وابتسامتها الحانية ..

تذكَّر البحر الهادئ فى عينيها ..

تذكَّر مرحها ..

وسالت من عينيه دمعة حزينة ..

دمعة انحدرت مع ذكرى نهايتها ..

وفى هدوء مدّ أصابعه يمسح دمعته، وقلبه يرتجف حزناً وألماً ..

إنها هى ..

نبضة الحب والحياة ، التى تحدث عنها (ناصر) ..

إنها لم تمت ..

لم تقض نحبها ..

عجباً !! ..

كيف تصوَّر أنه من الممكن أن تموت نبضة الحب ، أو تفنى فى قلبه ؟ ..

إنها ستحيا ..

ستحيا إلى الأبد ..

ستحيا بإرادته ..

من أجلها ..

من أجل (صفية) ..

ستحيا نبضة الحب فى قلبه ؛ لينبض بحبها حتى آخر نبضة فى حياته ..

سيسترد قلبه من أجل موعده معها ..

من أجل موعد لم يتحقق فى الدنيا ..

من أجل موعد ينتظره ، ويأمله فى الآخرة ..

موعد حبه ..

* * *



١١ ـ الحنان ..

« صباح الخير يا (صفية) .. » ..

نطقت أم (حسام) بهذه العبارة فى حنان دافق ، خفق له قلب (صفية) ، وهى تنهض لتحيتها فى حرارة ، هاتفة :

ـ صباح الخير يا سيدتى .. لقد أضاءت الشركة كلها بقدومك .

احتضنتها الأم فى حنان ، وهى تقول :

ـ إنها مضيئة بك ، منذ عملت بها يا بنيتى ؛

قدَّمت إليها (صفية) مقعدها ، وهى تقول فى حرارة :

ـ تفضَّلى يا سيدتى .. كم يسعدنى قدومك لزيارتى.

جلست الأم ، وهى تقول فى حنان :

ـ ماذا أفعل ؟ .. إنك لم تأت لزيارتنا منذ ثلاثة أشهر .

تورَّد وجه (صفية) بحمرة الخجل ، وهى تغمغم:

– إن زيارتكم تسعدنى يا سيدتى ، ولكنها متاعب العمل و ..

قاطعتها الأم فى عطف :

– لِمَ تصرِّين على إيلامى دوماً يا (صفية) ؟

هتفت (صفية) فى جزع :

– أنا ؟! .. ولكننى يا سيدتى ..

عادت الأم تقاطعها :

– أرأيت ؟! .. هذا ما أقصده بالضبط .

قلبت (صفية) كفيها ، وهى تقول فى حيرة :

– ماذا تعنين يا سيدتى ؟

ربَّتت الأم على كتفها ، وجذبتها لتجلس إلى جوارها فى رفق ، ثم تحسَّست رأسها فى حنان ، وهى تقول :

– إننى أحزن حينما تخاطبيننى بلقب (سيدتى) يا (صفية) ، فأنا أشعر أنك ابنتى .. لقد كنت أتمنى من أعماق قلبى أن أُنجب ابنة ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) لم يحقق لى هذا الأمل ، وعندما رأيتك فى

منزلنا ، يوم أحضرك (حسام) ، شعرت أنك الابنة التى تمنيتها طيلة عمرى ، وهذا هو شعورى حتى الآن يا (صفية) ، ومنتهى أملى هو أن تعتبرينى أُمًّا لك ، وأن تخاطبينى بهذا اللقب .

اغرورقت عينا (صفية) بالدموع ، أمام هذا الفيض الغامر من الحنان ، وغمغمت فى خجل :

– إنه شرف لى يا سيدتى .

غمغمت الأم فى عتاب حان :

– (صفية) !!

ابتسمت (صفية) ، وهى تغمغم فى عرفان :

– معذرة .. أقصد يا أُماه .

اتسعت ابتسامة الأم فى حنان ، واحتضنتها فى حب ، وهى تقول :

– كم يسعدنى سماع تلك الكلمة يا بنيتى .

استكانت (صفية) فى صدرها ، وشعرت بالارتياح مع كل ذلك الحنان الذى يغمرها ، فلاذت

بالصمت ، وكذلك فعلت الأم ، حتى بعض الوقت ،
ثم سألتها بغتة :

— ما رأيك فى (حسام) يا (صفية) ؟

أجابتها (صفية) فى حياء :

— إنه مهندس ناجح يا أماه .

ابتسمت الأم ، وتحسست شعرها فى حنان ، وهى
تقول :

— لست أقصد رأيك فى عمله .. كنت أقصد
رأيك فيه كشاب .

رفعت (صفية) رأسها من صدر الأم ، وتطلعت
إليها فى حيرة ، وهى تغمغم :

— ماذا تقصدين يا أماه ؟

أجابتها الأم فى هدوء :

— لم أقصد أكثر من منطوق سؤالى يا بنيتى :
ما رأيك فى (حسام) كشاب ؟

ارتبكت (صفية) ، وتضرَّج وجهها بحمرة
الخجل ، وهى تغمغم فى تلعثم :

— إنه شاب ممتاز ، جاد ، مهذَّب و ..

أعجزها الخجل عن مواصلة حديثها ، فأطرقت
بوجهها فى حياء ، وتأملتها الأم فى حنان وتعاطف ،
قبل أن تسألها فى لهفة :

— هل تقبلينه زوجاً لك ؟!

اتسعت عينا (صفية) فى مزيج من الدهشة والذعر ،
وغمغمت فى ارتياع :

— زوجاً ؟! .. فى الواقع يا سيدتى .. فى الواقع .

سألتها الأم فى قلق :

— هل ترفضينه ؟

ارتبكت (صفية) ، وتلعثمت ، وامتقع وجهها ،
وهى تغمغم :

— ليس هذا ما أعنيه يا أماه .. ولكن ..

ثم أطرقت فى حياء ، مستطردة :

— ولكن قلبى ليس ملكاً له .

سألتها الأم فى عطف :

— ملك مَنْ إذن ؟

تردَّدت (صفية) لحظات ، ثم اندفعت تروى لها كل شيء ، وبكل صراحة ..

واستمعت إليهـا الأم فى اهتمام وتعاطـف ، والانفعالات تتوالى على وجههـا ، تبعاً لما تسمعه من مواقف وأحداث ، فيرتفع حاجباها فى تعاطف وحنان تارة ، ثم ينعقدا فى غضب تارة أخرى ، ليعودا إلى الارتفاع فى إشفاق ، حتى انتهت (صفية) من قصتها ، والدموع تغرق عينيها ووجهها ، فخيَّم على المكان صمت رهيب ، طال بعض الوقت ، حتى قطعته الأم بقولها :

– ولكنها ليست نهاية العالم يا بنيتى .

غمغمت (صفية) فى حزن :

– ولكنها نهاية حبى يا أماه .

ربَّتت الأم على رأسها فى حنان ، وهى تقول :

– لا تتوهمى ذلك يا بنيتى .. نحن نصنع آلامنا وآمالنا ، ولا ينبغى أن نجعلها هى تصنعنا .. إن نصف فتيات هذا الجيل عانين من حبّ ضائع أو مفقود ،

ولكن هذا لم يمنعهن من الحب مرة أخرى ، والزواج ممن أحببن ، وتكوين أسرة ومستقبل .

غمغمت (صفية) :

– لا أظن أننى أستطيع .

ابتسمت الأم فى حنان ، وهى تقول :

– لا تحاولى إقناع نفسك بذلك .. إنك تشعرين فى الواقع بنوع من تأنيب الضمير ؛ لأنك تتصورين أنك السبب فى ضياع موعد حبك مع (حسن) ، ولكنك مخطئة ، فالقدر هو الذى وضع هذه النهاية ، وليس أنت .. وربما وضعها لأنها الأفضل لكليكما ، فهناك يا بنيتى مثل شعبى قديم يقول : « إذا دخل الفقر من الباب فرّ الحب من النافذة » ، ولقد كانت قصة حبكما – أنت و (حسن) – محكوم عليها بالفشل لهذا السبب ، فكيف كنتما ستعيشان ، وكلا كما متعطل عن العمل ، بلا مدخرات أو حتى ما يلبى احتياجاتكما الرئيسية ؟ ..

غمغمت (صفية) فى ألم :

– كان حبنا سيحتمل كل هـذه الصعوبات ، وكان (حسن) سيجد عملا حتماً .

– وماذا لو أنه لم يجد ؟

– كنت سأجد أنا على الأقل .

– وهل كان سيحتمل – كرجل – أن تنفق عليه امرأته ؟

– كان سيحتمل ؛لأنه يحبنى ، ولأن الحب يقهر كل المصاعب .

– إلى متى ؟

– إلى أن تتعدل الظروف .

– حتى ولو طال ذلك لسنوات ؟

– الحب يصنع المعجزات .

– لا توجد معجزات فى زمننا هذا ، يوجد فقط واقع حتمى .

– من يدرى ؟

– لا تسألى هذا السؤال ، فقد وضع القدر إجابته بنفسه .

– كيف ؟

– بإلغاء موعدك مع (حسن) ، على الرغم منكما .

أطرقت (صفية) برأسها ، وهى تغمغم فى ألم :

– لعلك على حق .

ضمتها الأم إلى صدرها ، وهى تقول فى حنان :

– أؤكـد لك أننى كذلك يا بنيتى .

ران عليهما الصمت لحظة أخرى ، ثم سألتها الأم:

– والآن ما رأيك فى الزواج من (حسام) ؟

غمغمت (صفية) فى حيْرَة :

– لست أدرى .

ربَّتت الأم على رأسها ، وهى تقول فى حنان :

– لن أتعجل قرارك يا بنيتى ، ولكننى أريد منك أن تعلمى أن (حسام) يحبك .. يحبك من أعماق قلبه ، وأنا ووالده نتمنى موافقتك على الزواج منه ، وسنترك لكما الطابق العلوى من الفيلا كله ، أو نتركها كلها لكما ، ونقيم فى واحدة من شقق الشركة ، فنحن

لا نريد من الدنيا سوى سعادة ابننا ، وسعادتك كابنتنا .

ونهضت وهى تستطرد فى تعاطف :

— فكّرى فى الأمر ، ولن نتعجل قرارك يا بنيتى ، وتذكّرى أن (حسن) هو الماضى ، أما (حسام) ، فهو المستقبل .. ومن الخطأ أن نبيع المستقبل بالماضى يا (صفية) .

وانحنت لتقبّل وجنتها ، قبل أن تردف :

— سأنتظر قرارك .. سننتظره كلنا .

وانصرفت فى هدوء ، وتبعتها (صفية) ببصرها ، حتى غادرت الحجرة ، ثم ألقت جسدها على مقعدها ، وهى تلهث ، وكأنما قطعت طريقاً طويلا ، ركضاً بلا توقّف ..

وتساءلت فى حيرة : ماذا تفعل ؟ ..

هل تتخلى عن (حسن) ؟ ..

هل تلقى حبه خلف ظهرها ، وتتزوّج (حسام) ؟

لقد منحها هو وأسرته كل الحب والحنان ، الذى افتقدتهما طيلة عمرها ..

منحها العمل ، والمأوى ، والأمان ..

فهل ترفضه من أجل حبها لـ (حسن) ؟ ..

لقد حاولت طويلا أن تنسى (حسن) ، وأن تنغمس فى حياة عادية ..

ولكنها عجزت ..

كانت بصمات حبه محفورة على قلبها ، حتى ليعجز أى شىء عن اقتلاعها منه ، سوى الموت ..

لم تكن تدرى أى سحر ربط قلبها بقلبه على هذا النحو ؟ ..

أى عشق أحاط بنفسها ، مع هذه العلاقة القصيرة ؟ ..

أهو تأنيب الضمير حقًّا ، كما قالت أم (حسام) ؟ أم هو الحب ؟ ..

الحب العميق النادر ، الذى لا يهبه الله (سبحانه وتعالى) للمرء سوى مرة واحدة فى عمره كله ..

يا لعذابها ! ! ..

يا لحيرتها !! ..

أتبقى على حبها القديم ، أم تختار الحياة والحنان ؟ ..

ماذا تفعل ؟ ..

ماذا ؟ ..

* * *



١٢ ـ الحياة ..

توقف (حسن) بسيارته الأنيقة أمام منزل (شوقى) ، وهبط منها فى هدوء ، وأغلق بابها فى بساطة ، ثم رفع عينيه فى حركة آلية إلى شرفة المنزل ، والتقت عيناه بعينى (هيام) ..

كانت تنتظره فى الشرفة بلهفة واضحة ، ولم تكد عيناها تلتقى به حتى تهللت أساريرها بفرح غامر ، وتضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تلوّح له بكفها فى سعادة ، ثم اندفعت إلى الداخل ، لتستقبله عند باب المنزل ..

وصعد هو فى درجات السلم ببطء ، مسترجعاً ملامحها فى كل خطوة يخطوها ..

كانت حقًّا جميلة، باهرة الحسن، رقيقة الحس ..

ولقد تنبه ـ بعد حديثه مع (ناصر) ـ إلى أنها تحبه ..

كيف لم ينتبه إلى هذا من قبل ؟ ..

اهتمامها الشديد بأمره ، وتورُّد وجهها خجلا كلما التقيا ، وفرحتها الغامرة لرؤياه ..

كل هذه الأشياء كانت تعلن عن حبها فى وضوح ..

فكيف لم يشعر بها ؟ ..

وكيف لا يشعر بأية عاطفة نحوها ، حتى بعد أن علم ؟ ..

هل أصبح قلبه موصداً أمام أى حب ، بعد أن فقد (صفية) ؟ ..

هل احتلّ حبها قلبه كله ، حتى لم يترك مكاناً لسواه ؟ ..

تنهد فى حزن وألم ، حينما تذكَّر (صفية) ، ولكن صوت (هيام) انتزعه من شروده ، وهى تستقبله أمام باب منزلها ، هاتفة فى سعادة :

— مرحباً يا أستاذ (حسن) .. مرحباً .. لقد وصلت فى موعدك تماماً كالمعتاد .

حاول أن يبتسم فى وجهها ، ولكنه عجز ..

إنه لم يبتسم منذ أن فقد حبيبة عمره ..

لم يبتسم أبداً ..

كل ما نجح فيه هو أن يغمغم فى لهجة مهذبة :

— احترام المواعيد سمة أى رجل أعمال ينشد النجاح .

ضحكت وهى تقول فى مرح :

— أو ينشد عشاءً طيباً .

مرة أخرى عجز عن الابتسام ، فأطرق وهو يغمغم :

— كيف حالك ؟

لم يكن يرى وجهها ، ولكنه شعر بحبها فى كل حرف من حروف كلماتها ، وهى تهمس :

— فى خير حال .

ثم قادته إلى حجرة الجلوس ، وهى تهتف فى مرح :

— إن أبى يرتدى ثيابه ، وأمى فى المطبخ ، تتفنَّن فى إعداد الطعام ، وسيصلان بعد لحظات .

وأشارت إلى مجموعة شرائط التسجيل الصوتى ، التى تمتلكها ، وهى تردف فى اهتمام :

– هل تحب أن تستمع إلى شىء خاص ؟

غمغم فى هدوء :

– سأترك لك الاختيار .

التقطت شريطاً يحمل كلمات أجنبية ، وهى تقول :

– اسمع إذن إلى هذه الأغنية .

وتورَّد وجهها بحمرة الخجل ، وهى تستطرد فى حياء :

– إنها أغنيتى المفضَّلة .

وضعت الشريط فى جهاز البث الصوتى (الريكوردر) ، وضغطت زر تشغيله ، ثم جلست على المقعد المقابل له ، وأخذت تختلس النظر إلى وجهه فى حياء ..

وانبعثت الأنغام العذبة ، ثم بدأ ذلك المطرب الإنجليزى الشهير ينشد أغنيته ، واستمع (حسن) إلى كلماتها فى اهتمام ..

أنا من لا يملك شيئاً ..

أنا من يعيش وحيداً ..

أحبك وأحتاج إليك ..

لا أساوى شيئاً ..

لا أملك ما أهبه لك ..

ولكننى أحبك ..

ارتجف قلبه مع الكلمات ، وخيل إليه أنها تعود به إلى ذكرى حبه لـ (صفية) ..

بل إنها تصف موقفه تماماً ..

لم يكن يملك شيئاً حينما التقيا ..

لم يكن يساوى شيئاً ..

لم يكن لديه ما يهبه لها ..

ولكنه أحبها ..

كل شىء يذكّره بحبه لـ (صفية) ..

كل شىء يعود بقلبه وعقله إليها ..

يا إلهى ! ! .. كم أحبها ! !

انتزعته (هيام) من ذكرياته مرة أخرى ، وهى تسأله فى حياء :

– هل أعجبتك الأغنية ؟

أجابها فى شرود :

– جداً .

تهللت أساريرها فى سعادة ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (شوقى) ، وهتف فى مرح :

– كيف حالك يا شريكى العزيز ؟

نهض (حسن) لتحيته فى احترام ، وهو يقول :

– فى خير حال يا سيد (شوقى) .. كيف حالك أنت ؟

ضحك (شوقى) فى مرح ، وهو يقول :

– كيف حالى ؟! .. يا له من سؤال ؟ .. إننى فى خير حال بالطبع يا ولدى ، ألم نثبت نجاحنا هذا الصباح ، وافتتحنا مقر الشركة الجديد ، فى أرقى منطقة فى حى (مدينة المهندسين) بعد أن قضينا عامين فى مكتب صغير ، فى منطقة شعبية بعيدة .

غمغم (حسن) فى احترام :

– لقد وفقنا الله (سبحانه وتعالى) بسبب طيبتك ونزاهتك يا سيد (شوقى) .

ابتسم (شوقى) فى حنان ، وهو يقول :

– لا تتواضع يا ولدى ، لقد حدث هذا بفضل نشاطك وإخلاصك .

ثم استعاد مرحه ، وهو يستطرد :

– ويوماً ما ستكون شركة (هيام) للسياحة ، هى أكبر شركة سياحية فى الشرق الأوسط كله .

هتفت (هيام) فى مرح :

– لا عجب فى ذلك ، فهى تحمل اسمى .

ابتسم والدها ، وهو يتطلع إليها ، ثم التفت إلى (حسن) ، مغمغماً فى هدوء :

– هل تظن أنها على حق ؟

أجاب (حسن) ، دون أن يلتفت إلى (هيام) :

– بالتأكيد ، فالآنسة (هيام) فتاة ممتازة ، ولاشك أن اسمها يجلب الخير والبركة للشركة .

تهللت أسارير (هيام) ، وابتسمت فى مزيج من السعادة والحياء ، فغمغم والدها فى حنان :

ـ هيَّا يا (هيام) .. اذهبي لمساعدة والدتك فى إعداد المائدة ، وإلا فلن نتناول عشاءنا قبل الفجر .

ضحكت فى مرح ، وأسرعت تغادر حجرة الجلوس فى خجل ، وراقبها والدها فى حنان ، حتى دخلت المطبخ ؛ لتلحق بأمها ، ثم تنحنح ، وأشعل سيجارته ، ونفث دخانها فى بطء ، ثم قال فى هدوء ، وهو يختلس النظر إلى وجه (حسن) :

ـ إنها طيبة القلب ، أليس كذلك ؟

غمغم (حسن) :

ـ بلى .. إنها كذلك .

رمقه (شوقى) بنظرة حانية ، ثم قال :

ـ من حسن الحظ أنها ربة بيت ممتازة أيضاً ، فهى تجيد الطهى والحياكة و ..

توقف عن مواصلة حديثه ، حينما لاحظ شرود (حسن) ، فمال نحوه يسأله فى مرح مصطنع :

ـ أين ذهبت ؟

انتفض (حسن) ، وكأنما أفاق من حلم عميق ، وغمغم فى ارتباك :

ـ لا شىء يا سيد (شوقى) .. إنها ذكرى قديمة ، ألحَّت فجأة على ذهنى ، معذرة .

تنهد (شوقى)، وسأله فى إشفاق، وبصوت خافت :

ـ أهى نفس الذكرى القديمة ؟

أجابه بإيماءة من رأسه ، فمطَّ (شوقى) شفتيه ، وغمغم فى أسف :

ـ ألم تنجح فى نسيانها بعد ؟

تمتم (حسن) فى حزن :

ـ لقد حاولت ، وفشلت .

ـ ولكنها ماتت يا ولدى .

ـ لعل هذا ما أبقى على حبها فى قلبى .

ـ ولكنك حىّ .

ـ ربما .

ـ كلاَّ .. هذا مؤكَّد ، والحى يا ولدى أبقى من الميت .

— ما لم يكن يحلم بالموت .

— لا تكفر بالله (سبحانه وتعالى) يا ولدى .. لقد شاء (عز وجل) أن تبقى على قيد الحياة ، ولا حقّ لك فى الاعتراض على مشيئته (سبحانه) .

— إننى لم أنتحر .

— هذا لا يكفى ، فالحياة لها متطلباتها وقواعدها .

— إننى أبذل أقصى جهدى وطاقتى فى العمل .

— العمل وحده ليس الحياة ، هناك أيضاً العواطف والمشاعر .

— لست أملكهما .

— بل تملكهما ، ولكنك تصرّ على قهرهما .

— لقد كنت أحبها يا سيد (شوقى) .

— هل رأيت ؟ .. لقد أضفت إلى عبارتك كلمة (كنت) ، وهى فعل ماضى .

— أيرضيك أن أحذفها من العبارة ؟

— بل من قلبك يا ولدى .

— مستحيل .

— لا يوجد مستحيل يا ولدى ، ما دامت هناك إرادة .

— وما شأن الإرادة بالحب ؟

— إنها تعاونك على نسيانه ، ما دام قد أصبح ماضياً بلا أمل .

— فلنترك ذلك للزمن .

— عليك أن تعاونه ، فالزمن لن يجدى شيئاً أمام إصرارك على عدم النسيان .

أطرق (حسن) بوجهه عند هذه النقطة ، وغمغم فى حزن :

— لست أحب أن أنسى (صفية) يا سيد (شوقى) ، ولكننى سأحاول .. ربما ..

تطلّع (شوقى) إلى ابنته ، التى تعاون والدتها على إعداد المائدة ، وغمغم فى حزن وحنان :

— نعم يا ولدى .. ربما ..

* * *

١٣ ـ ليلة ..

كانت تلك الليلة من أطول الليالى فى حياة (صفية) ..

لقد قضتها ساهرة ، مسهدة ، تحاول أن تحسم أمرها ، فيما يخصّ زواجها من (حسام) ..

كانت تعلم أن (حسام) شاب ممتاز ، من النادر أن تحظى فتاة بزوج مثله ..

مهذب ، ثرى ، ناجح ، حنون ..

شاب ممتاز ولا ريب ..

ولكنها تعجز عن حبه ..

(حسن) يحول بينها وبينه ..

حبها له يملك قلبها كله ، فتجد نفسها عاجزة عن منح نبضة واحدة منه لغيره ..

ولكن (حسام) وعائلته أغرقوها بحنانهم وحبهم ، ومن المؤسف أن تقابل جميلهم هذا برفض الزواج من ابنهم الوحيد ، وتحطيم قلبه ، وإحاطتهم بالحزن ، بعد أن أحاطوها بالحنان ..

ولكن (حسن) ..

إنها تحيا من أجله ..

من أجله فقط ..

إن الأمل الوحيد ، الذى يمنحها القدرة على البقاء ، هو أن تلتقى به يوماً ، لتبثه حبها ، وتقصّ عليه ذلك السبب القهرى ، الذى منعها الوصول إليه فى موعدها ..

وبرزت فى رأسها صورة (حسن) ، وأخذت تكبر وتكبر ، حتى ملأت كيانها كله ..

صورته القديمة ، بابتسامته المشرقة ، وملامحه الهادئة الرصينة ..

ووجدت نفسها تتساءل فى هيام ..

ترى أين هو الآن ؟ ..

هل عثر على عمل ؟ ..

هل تزوّج ؟ ..

هل ينتظر أخرى فى ميدان التحرير ؟ ..

ودون أن تعى ، وجدت نفسها تهتف فى حرارة :

– أين أنت يا (حسن) ؟ .. أين أنت ؟

وفى تلك اللحظة بالذات كان (حسن) مستيقظاً فى فراشه ..

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة صباحاً ، ولكنه لم يكن قد استسلم للنوم بعد ..

كان عقله يسترجع حديثه مع (ناصر) ، وحديثه مع (شوق) ..

هل يضيع عمره حقًّا ؟! ..

هل يحيا فى وهم يملأ كيانه منذ عامين ؟ ..

هل فاز به ماضيه ، فحجبه عن حاضره ومستقبله؟

لم يغب عن ذهنه ، أن حديث (شوق) كان يهدف إلى زرع فكرة زواجه من ابنته فى رأسه ..

كان يعلم أن الرجل يحبه كابنه ، وأنه يتمنى لو توَّج علاقته به بزواجه من ابنته ..

و (هيام) نفسها تحبه ..

كل خلجة من خلجاتها تفضح حبها له ..

أما شعوره نحوها ، فلا يتعدَّى الاحترام والامتنان ..

إنها بالنسبة إليه ابنة الرجل الذى منحه كل ما كان يحلم به ..

هل يكفى ذلك ليتزوَّجها ؟ ..

إن احترامه لها يمنعه من الإقدام على هذه الخطوة ، قبل أن يوقن من نسيان (صفية) ..

وهو لا يظن أنه سيفعل أبداً ..

إن (صفية) لم تكن مجرَّد حب عابر فى حياته ..

إنها كيان ومشاعر ..

خفقان قلب لم يخفق بعدها أو قبلها أبداً ..

شعور جارف سرَى فى عروقه ، وانتقل إلى كل خلية من خلاياه ، حتى صار يراها محفورة فى رأسه وقلبه وعينيه ، وصوتها يستقرّ فى أذنيه وكيانه ، وحبها يحيط بنفسه ومشاعره ..

إنها حياة خاصة ، لا يحياها المرء مرتين ..

زهرة أينعت فى أرض قلبه الجرداء ، وذبلت قبل أن تتفتح للحياة ..

ليته رواها بدمه ..

ليته افتداها بحياته ..

ولكن هيهات ..

لقد اختار القدر المصير ..

اختار أن يفرّقهما فى موعد حبهما ..

وفجأة جال بذهنه خاطر لم يتطرّق إليه قطّ من قبل ..

تُرى ماذا كان قرار (صفية)، بشأن موعدها ؟ ..

أكانت ستأتى إليه أم لا ؟

أقبلت حبه ، أم رفضته ؟

لن يعلم جواب هذه الأسئلة أبداً ..

فليضع هو الأجوبة ، حسبما يروق له ..

إنه واثق من أنها كانت ستأتى ..

من المستحيل أن يكون قد أخطأ تفسير ذلك الحب ، الذى أطلّ من عينيها ، حينما عرض عليها الزواج منه ..

لقد كانت تحبه ..

وهو لم يحب سواها ..

توقفت أفكاره لحظة كالعدم ، ثم غمغم فى إصرار :

– ولن أحب سواها ..

ولكن هذا لم يُنْه حيرته ..

لم ينهها أبداً ..

(شوقى) أيضاً كان يعيش فى حيرة تلك الليلة ..

كان يعلم أن ابنته غارقة حتى أذنيها فى حب (حسن) ، ولكنه لم يكن يدرى ماذا يفعل ؟ ..

إن قلب (حسن) ليس لها ..

إنه مازال يحب فتاة راحلة ..

مازال يمنحها كيانه كله ..

ترى هل يمكن أن ينساها ؟ ..

هل يمكن أن يتزوج ابنته ، ويصبح صهره ؟ ..

دار هذا السؤال بخلده طويلا ، ثم لم يلبث أن تمتم فى حزن :

– ربما .. ربما ..

كان هذا هو نفس الجواب ، الذى أجابت به والدة (حسام) على زوجها ، حينما سألها فى الثالثة صباحاً عن رأيها فى موافقة (صفية) على الزواج من ابنه ، ولقد أحنقه ذلك الجواب المبهم فهتف فى سخط :

ـ ماذا تعنين بـ (ربما) ؟! .. إن الجواب فى عروض الزواج يكون دائماً إما بالإيجاب أو بالرفض .

غمغمت الأم فى حنان :

ـ ينبغى أن نمنحها بعض الوقت يا (توفيق) .. إنها فتاة رقيقة ، وليس من السهل أن تنسى حبها .

هتف فى حنق :

ـ لماذا ؟! .. لقد مضى عامان على ذلك الأمر .

ابتسمت وهى تقول :

ـ لو أنك امرأة لفهمت موقفها .

لوَّح بكفه ، وهو يهتف فى غضب :

ـ لو أننى امرأة ما وجدت أفضل من (حسام) زوجاً .

ثم عاد يسألها فى اهتمام :

ـ هل تظنين أن هذا رأيها أيضاً ؟

أجابته فى هدوء :

ـ بالتأكيد .

صاح فى حنق :

ـ لماذا تحتاج إلى التفكير إذن ؟

احتضنت الأم كفه فى حنان ، وهى تتمتم :

ـ امنحها بعض الوقت يا (توفيق) .

غمغم فى سخط :

ـ لست أحتمل .

ثم أردف فى صرامة :

ـ أريد منها أن تحسم موقفها غداً .

هتفت الأم فى دهشة :

ـ غداً ؟!

أجابها فى حسم :

ـ نعم .. غداً .

خيم عليهما الصمت لحظات ، ثم سألته الأم فى تردد :

ـ وماذا لو جاء جوابها بالرفض ؟

هتف فى سخط :

ـ ستكون أكثر فتيات الأرض حماقة .

سألته فى اهتمام :

— أعنى ماذا سيكون موقفها بالنسبة للعمل والشركة ؟

حدّق الوالد فى وجهها بدهشة ، وكأنما فاجأه سؤالها ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يغمغم :

— لا شأن لجوابها بالعمل ، فسواء كان قرارها بالقبول أو الرفض ، فستبقى فى موقعها ، فهى فتاة نشيطة مخلصة ، ومن النادر أن تحظى شركة بموظفة مثلها .

تنهدت فى ارتياح ، وهى تغمغم :

— حمداً لله .. هذا ما كنت أخشاه .

ثم أردفت فى حنان :

— كل ما علينا أن نفعله إذن هو أن ننتظر مضىّ هذه الليلة .. كل ما يفصلنا عن نهاية تلك القصة هو ليلة .. ليلة واحدة ..

* * *

١٤ — الموعد ..

لم يدر (حسن) ما الذى أتى به إلى ميدان التحرير فى ذلك الصباح بالذات ..

إنه لم ينم لحظة واحدة طيلة ليلة أمس ، وكان يحتاج إلى الراحة ، أو على الأقل إلى الذهاب إلى مكتبه فى مقر الشركة الجديد ..

وكان فى أشدّ الاحتياج للفرار من تلك الذكرى ، التى عذبته ليلة كاملة ..

لماذا أتى إذن إلى ميدان التحرير ؟ ..

إن كل ذرة فى هذا الميدان الفسيح تذكّره بـ (صفية) ..

تذكّره بتعارفهما ..

بلقائهما الأول ..

بحبهما ..

ولكم تغيّر الميدان ..

ولكم تغيّر الموقف ..

لقد كان يأتى إليه فى الماضى ليلتقى بحبيبته ، والآن يأتيه لينعى ذكراها ..

كل شىء تغيّر وتبدّل ..

حتى هو ..

لقد أدرك ذلك حينما كان يتطلّع إلى مرآته هذا الصباح ..

لقد بدأ الشيب يسرى فى فوْديه ، على الرغم من أنه لم يبلغ عامه الثلاثين بعد ..

حتى جسده الضئيل ازداد نحولا ..

عجباً لهذه الحياة !! ..

إن العشرات يحسدونه على نجاحه وثرائه ، فى هذه السن الصغيرة ..

كلهم يتقربون إليه ، بعد أن كانوا ينفرون منه فى فقره وعذابه ..

حتى عمه ، الذى طرده يوماً من منزله بلا رحمة ، جاءه يرجوه أن يجد لابنه الفاشل وظيفة فى شركته السياحية ..

لم يكن ابن عمه يحمل من المؤهلات سوى الشهادة الإعدادية ، بعد أن فشل فى الحصول على شهادة الثانوية العامة ، ولكنه خجل أن يردّ عمه خائباً ، فعيّنه فى الشركة ..

خجل من أن يردّ مطلب الرجل ، الذى ركله من رعايته دون وازع من ضمير ..

يا للدنيا !! ..

ويا للقدر !! ..

كل الناس تتصوَّر أنه سعيد بنجاحه ، مزهوّ بثرائه ..

إلاّ هو ..

هو وحده كان يعلم أن السعادة بعيدة عنه ..

كان يعلم أن السعادة بالنسبة إليه مجرّد سراب ..

سراب فقده بعد أن كاد يمسك به بيديه ..

وتنهّد من أعماق صدره وقلبه ، وهو يتطلّع إلى ساعته ..

كانت عقاربها تشير إلى الثامنة إلا دقيقة واحدة ..

وموعده مع (صفية) كان دوماً فى تمام الثامنة ..
وارتسمت على وجهه علامات الحزن ، وهو يتذكرها ..
لم يكن يعلم أنها قد اتخذت ، فى الليلة الماضية ، قراراً حاسماً ..
قررت ألاّ تتزوَّج (حسام) ..
على الرغم من كل صفاته ، وسماته الحسنة .. لن تتزوَّجه ..
لقد قررت أن تنتظر (حسن) ..
قررت أن تمنح نفسها موعداً مع القدر ، فإما أن تلقاه ، أو تقضى عمرها كله فى انتظاره ..
وكان هو يقف فى نفس المكان ، الذى اعتادا أن يلتقيا فيه منذ عامين ..
يقف مثلما وقف فى آخر مرة ، بعينين زائغتين ، تملؤهما اللهفة ..
وكان يجول بهما فى وجوه المارة ، وكأنما يأمل أن تبعث من رقادها ، لتنعم عيناه برؤياها ..

وأشارت عقارب الساعة إلى تمام الثامنة ، وارتجف جسد (حسن) ، وخفق قلبه فى قوة ، ثم جحظت عيناه فى ذهول ..
مستحيل !! ..
إنه يحلم ..
يحلم بالتأكيد ..
هذا الوجه ..
تلك العينان ..
ذلك الثغر ..
مستحيل !! ..
وفجأة .. ومع آخر دقات الثامنة .. التقت عيونهما ..
سرَت فى جسد (صفية) قشعريرة قوية ، انتفض لها جسدها كله ، وخفق لها قلبها فى قوة لم تعهدها من قبل ..
وتجمَّد (حسن) ..

قلبه وحده رقص بين ضلوعه ، أما جسده فصار يابساً كالحطب ..

وفى صوت مرتجف ، يموج بمشاعر شتى ، غمغمت (صفية) :

– (حسن) ؟! ..

وفى ذهول ، ولهفة ، وحب ، وشوق ، غمغم (حسن) :

– (صفية) ؟ ! ..

وفجأة اندفع كل منهما نحو الآخر ..

بكل الحب والشوق واللهفة والدهشة ، التقت أكفهما ..

بكل الحنان والعشق والحيرة والذهول ، تحسس كل منهما وجه الآخر ..

لقد جمعهما القدر أخيراً ..

وهتفت (صفية) وهى تبكى فى سعادة :

– (حسن) .. لم أتصوَّر أن ألقاك مرة ثانية

أبداً .. لقد تعرضت لحادث منعنى الوصول فى موعدنا .. لقد ..

مسَّ شفتيها بأنامله ، ليمنعها من مواصلة الحديث ، والتهم وجهها بعينيه فى لهفة وحب ، وهو يغمغم :

– مستحيل !! .. لقد ذهبت إلى الملجأ .. وأخبرونى ....

هتفت :

– لم أكن أنا .. لقد أخطئوا ..

احتضن كفيها فى حنان وحب غامرين ، وضمهما إلى صدره ، وهو يملأ عينيه بعينيها ، مغمغماً فى حب :

– (صفية) .. لقد وجدت عملا ، وأنا الآن ..

هتفت وهى تحتوى وجهه فى بحر عينيها ، اللتين امتلأتا بدموع سعادة غامرة :

– لا تقل شيئاً يا (حسن) .. ليس المهم ماذا تعمل ، ولا ماذا تملك .. المهم أنك هنا ، أننى قد وجدتك أخيراً .. أخيراً يا (حسن) ..

همس فى حنان دافق :

ـ كم افتقدتك يا (صفية) .. إننى أحبك .. أحبك .

همست فى حياء وحب :

ـ أنا أيضاً أحبك يا (حسن) .

تحسَّس شعرها فى رفق ، وهو يغمغم ، وقد عادت ابتسامته المشرقة إلى وجهه ، لأول مرة منذ عامين :

ـ تُرى أين أقرب مأذون شرعى ؟

احتضنت كفه فى حب ، وهى تهمس فى هيام :

ـ لا تجعل هذا يقلقك .. سنجده بلا شك .. سنجده ما دمنا معاً .. لقد تأخّر موعدنا يا (حسن) ، ولكن قد حان الآن .. اختاره القدر .

نعم .. لقد كان هذا هو الموعد ..

موعد حبهما .. إلى الأبد ..

* * *

(تمت بحمد الله)

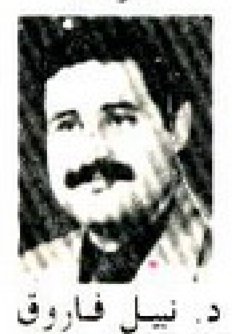
رقم الإيداع : ٧٨٤٨



— سلسلة رومانسية رفيعة المستوى —

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

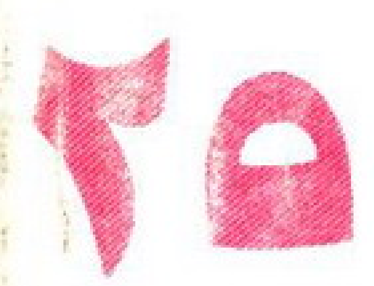
المؤلف



د. نبيل فاروق

الموعد

جمعهما لقاء واحد، وهما يبحثان
عن عمل. وغزل الحب خيوطه حول
قلبيهما، حتى ذاب كل منهما فى حب
الآخر، وفى موعد لقاء حبهما افترقا.. ولعب
القدر لعبته.. أقدر لهما أن يلتقيا مرة أخرى،
أم أن عليهما أن ينعيا حبهما، ويتناسيا
ذلك الموعد؟.. موعد الحب!!



الثمن فى مصر ٢,٥٠
ومايعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم